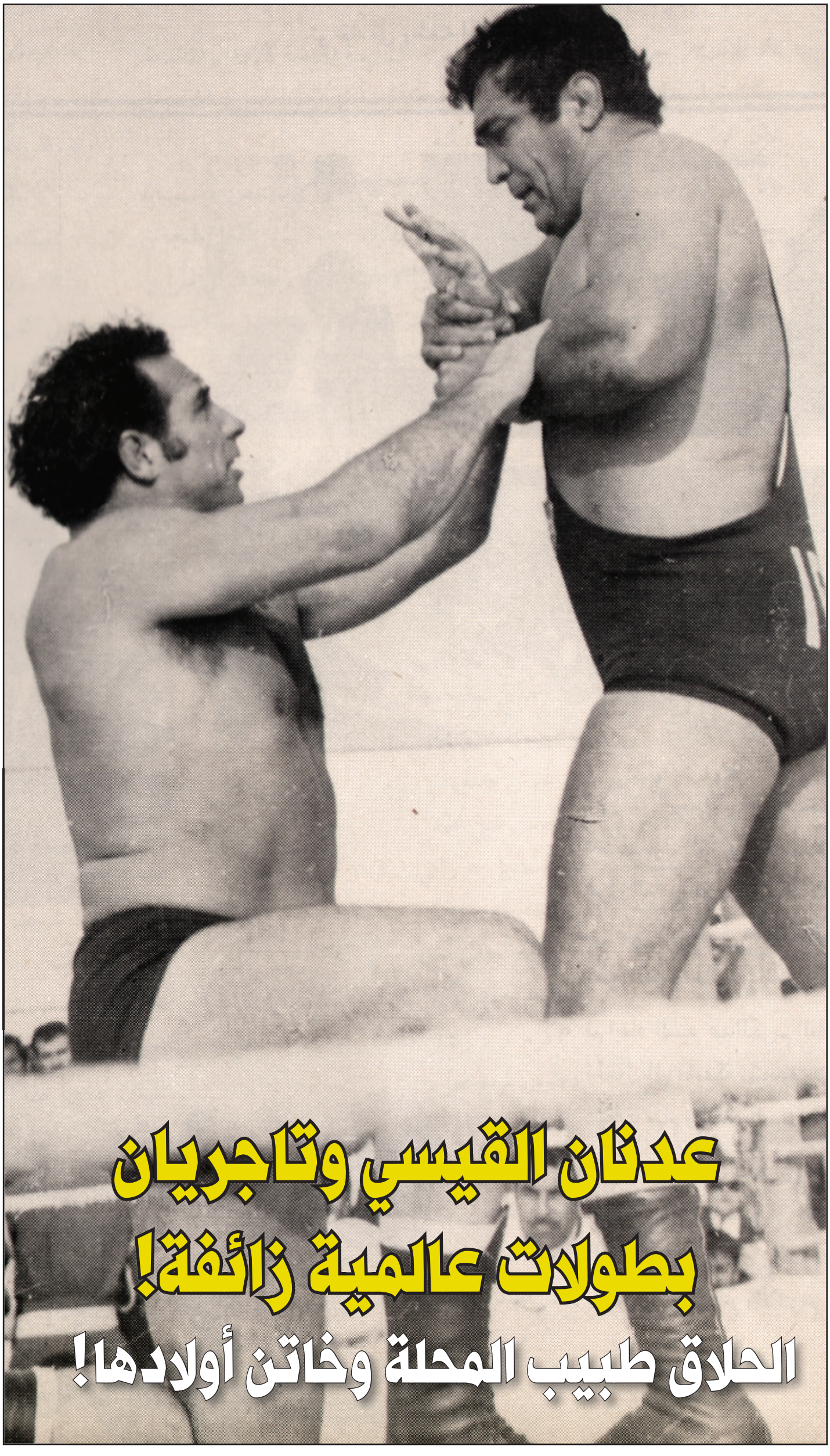

عدنان القيسي وتاجريان بطولات عالمية زائفة!

الحلاق طبيب المحلة وخاتن أولادها!

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2201) **السنة الثامنة**
الإثنين (25) **تموز** 2011

8

الهلالي.. ذخيرة تراثية غنية

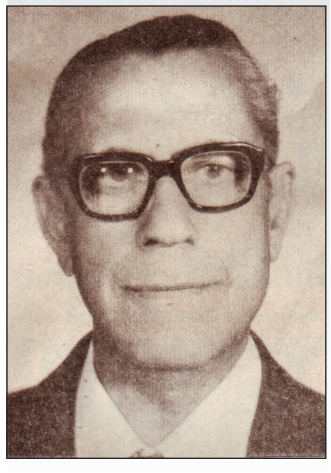

خواطر وذكريات عن الوراقة والمكتبات

الطباعة.. الخطوة المهمة لمسيرة الثقافة

شمس الدين الحيدري
كتبي عراقي راحل

ان المعاناة التي عاشها العراق العزيز بعد انهيار الحكم العباسي اثر نكبة بغداد عام ٦٥٦ هـ.١٢٥٨ م قد عطلت نشاطه وازدهار حضارته حيث اجهز على ذلك النشاط والازدهار اقوام كانوا يتحينون الفرص للانتقام من العرب والاسلام متذرعا بعضهم بالاسلام من مغول . واتراك وفرس ومماليك فعاثوا فيه فسادا وتنكيلا وتمزيقا حتى كادوا يطفئوا نور حضارته في القرون الاربعة التي سبقت انحسار الحكم العثماني عام ١٩١٧ ولعل من يرجع الى كتاب (اربعة قرون من تاريخ العراق) لمؤلفه الانكليزي (ستيفن) وترجمه المرحوم جعفر الخياط والذي طبع عدة طبعات يجد تعبيرا مريرا وحقيقيا في مقدمة المترجم للكتاب عن تلك الفترة اذ يقول : "عصفت ريح الخراب في العراق وكبا جواد العرب في نهاية العهد العباسي ، فتدفقت على هذه الامة سيول من قبائل المغول والتركمان ملأت الاغوار والانجاد واكتسحت القرى والبلاد وظلت هذه القبائل تعيث فسادا في البلاد وتجهز بوحشيتها على بغداد عاصمة الاسلام وحصنه الحصين حتى انطفأ نور الخلافة العباسية فيها فغمرها ظلام دامس لاتستبين العين الانار الخراب التي اشعلتها يد الجور الاثمة ولا تسمع الا انين مدينة سارت بذكرها الركبان واذا بهذا الانين ينقطع فيعقبه صمت الموت الرهيب فتدخل هذه البلاد من ادناها الى اقصاها في سبات عميق ظلت تغط فيه طوال عدد من القرون حتى استفاقت على صوت المدينة الحديثة وهو يدوي في الافاق ..الخ"

الا ان ابناء العراق الابي من العلماء والمبدعين الذين غذوا الفكر والمعرفة بجيل من العباقرة والمفكرين الذين ما زال العالم يتحدث عن نبوغهم وفضلهم على العلم والانسان ولم يقنطوا ولم ييأسوا وبما تيسر لهم من سبيل استمرار الثقافة والتأليف فسجلت مراجع الكتب ومضان الفهرسة غنية بالعديد من المؤلفات المتنوعة المواضيع والعلوم التي انتجت في تلك الفترة ولعل المرحوم (عباس العزاوي) كان واحدا ممن سجل في موسوعته (تاريخ العراق بين احتلالينلا) و(التعريف بالمؤرخين)و(وتاريخ الادب العربي في العراق) وغيرها الكثير من تلك الكتب وان كان قد فاته ذكر كتب عديدة اخرى من كتب الفقه والتفسير والكلام كما انه لم يورد كتبا اخرى لطوائف غير مسلمة ظلت وفيرة وعلى الرغم من تلك الحروب والكوارث فقد احتل الكاتب العراقي مكانة في معظم مكتبات العالم بجدارة ولا تزال هناك الملايين العديدة من كتب عراقية منتشرة في اصقاع الارض من نتاج الفكر العراقي وعلى مدى مئات السنين.

الطباعة في العراق

في عام ١٨٣٠ وفي عهد المماليك استوردت اول مطبعة في بغداد باسم (مطبعة دار السلام) في عهد داود باشا وقد طبعت عدة مطبوعات منها (كلشن خلفاء) المسمى دوحة الوزراء باللغة التركية وانشئت مطابع اخرى اوردها مع سنة تأسيسها وجهة التأسيس.

مطبعة كربلاء سنة ١٨٥٦ طبعت كتبا فقهية وادعية مع مقامات الالوسي.

مطبعة الاباء الدمنيكان في الموصل سنة ١٨٥٦م طبعت كتاب رياضة درب الصليب.

مطبعة كامل التبريزي في بغداد طبعت كتاب تاريخ القرماني بالطباعة الحجرية.

المطبعة الكلدانية سنة ١٨٦٣م في بغداد صاحبها الشماس روفائيل .

مطبعة الولاية ١٨٦٩م في بغداد الوالي مدحت باشا طبعت جريدة الزوراء.

مطبعة الفيلق ١٨٦٩ في بغداد الوالد مدحت باشا – منشورات عسكرية.

مطبعة الولاية ١٨٧٥ الموصل – تحسين باشا والي الموصل – صحيفة الموصل.

مطبعة كركوك ١٨٨١ كركوك – فيضي باشا – جريدة كركوك.

المطبعة الحيدرية ١٨٨١ عبد الوهاب نائب الباب العالي كتاب بحر الكلام.

مطبعة بيخور ١٨٨٤ بغداد الحاخام يهودا بيخور الكتب العبرية.

مطبعة السريان ١٨٨٩ الموصل بعثة السريان اليعاقبة كتاب فاكهة الخلفاء.

مطبعة البصرة ١٨٨٩ البصرة جلبي زادة محمد علي جريدة البصرة.

مطبعة دار السلام ١٨٨٩ بغداد ابراهيم باشا كتاب بلوغ الارب في احوال العرب للالوسي وهي التي طبعت الخط السلطاني والدستوري العثماني.

مطبعة دنكور ١٩٠٢ بغداد الحاخام عزرا دنكور.

مطبعة الشاهبندر ١٩٠٧ بغداد محمود الشابندر العقد المفصل للسيد حيدر الحلي.

مطبعة النجف ١٩٠٩ النجف جلال الدين الحسيني صحيفة الحبل المتين.

مطبعة الاداب ١٩٠٩ بغداد مجلات وصحف.

مطبعة محفوظ ١٩١٠ الموصل عيسى محفوظ صحيفة نينوى.

مطبعة سليمان الدخيل ١٩١٠ بغداد سليمان الدخيل صحيفة الدستور.

مطبعة الصنائع ١٩١١ كركوك مدرسة الصنائع نماذج حكومية.

مطبعة عبد الله الزهيري ١٩١٢ البصرة عبدالله الزهيري صحيفة العرب.

لقد ورد تسلسل هذه المطابع في كتاب تاريخ الطباعة في العراق لمؤلفه شهاب احمد الحميد وهي تغطي فترة تتجاوز الثمانية عقود تعرض فيها ملايين من العراقيين للفناء عن طريق الحروب والكوارث والتهجير والامراض حتى اصبح عدد سكان العراق عند انحسار الاستعمار العثماني وسطوة الاستعمار الانكليزي حوالي مليوني نسمة ومع ذلك لايمكن تجاهل الكتب التي طبعت في الخارج ووصلت الينا من مطابع الاستانة وطهران والهند والقاهرة وبيروت ودمشق في التاريخ والتراجم وسير العلماء والفهرسة ولا بد من الاشارة الى تنوع اساليب الطباعة المحلية والخارجية التي كانت طباعة حجرية قبل ان تدخل الاساليب المتطورة تسببا في صناعة وفن الطباعة.

وسنفرد لاحقا فصلا عن الصحافة والصحفيين ودورها في تعزيز الثقافة ونشر المعارف.

الوراقون ومحترفو بيع الكتب

ترتبط الوراقة بالثقافة وليس من المصادفة ان يكون الوراقون القدماء من فضلاء ومثقفيهم والبعض ممن له باع في المعرفة والتاليف حيث ترك غير قليل منهم مراجع وموسوعات ومؤلفات بقيت شاخصة على مدى قرون طويلة وللما تزل وعن الفترة التي نتحدث عنها وهي اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين من تاريخ العراق فاستطيع التأكيد ان ممارسي الوراقة كانوا في الغالب من الفضلاء الذين الفوا كثيرا من الكتب وبمواضيع مختلفة وكانت مكتباتهم التي انتشرت في المساجد المعروفة وباحاتها واوويتها خاصة في بغداد كالحضرة الكيلانية وجامع ابي حنيفة والسيد سلطان علي اضافة الى الصحن الكاظمي الشريف الذي ضمت اواوينه العديد من باعة الكتب الدينية كالمصاحف والادعية والمواعظ والفقه والعبادات وبعض من كتب التاريخ والادب واغلب تلك الكتب مطبوعة بالطريقة الحجرية وهي مستوردة من الاستانة والهند وايران وبيروت ودمشق اضافة الى مطبوعات بغداد والنجف خاصة في الفترة التي توفرت فيها المطابع الحديثة التي بدا اسيرادها عام ١٨٣٠م.

في جوامع بغداد انتشر العديد من المكتبات وخصوصا في الجوامع التي ضمت حلقات الدرس والوعظ حيث كان لعلماء بغداد القدامى الفضل بالتاليف والتدريس مثل الاسرة الالوسية العريقة بالعلم والمعرفة وشيخها (ابي الثناء الالوسي) صاحب تفسير روح المعني، ونجله (خير الدين نعمان) والاستاذ (محمود شكري) واولادهم، وقد نوهت مجلة (لغة العرب) عن بعض تاليفهم ومطبوعاتهم، وقد وجدت في الكتب التي تركوها بالاضافة الى مؤلفاتهم التي طبعت على حسابهم في الاستانة وبيروت ودمشق، كتبا اخرى وبكميات كبيرة اكاد اجزم انها كانت بقصد تصريفها وبيعها كاي وراق آخر، فقد صادف ان اشتريت مجموعة كتب كبيرة عام ١٩٥٣ م من مكتبة جامع مرجان وجدت بضمنها كتبا بالجملة مثل (كتاب التوحيد) للامام جعفر الصادق (ع)، و (الاستدراكات) لابن الخشاب على مقامات الحريري، وكتاب (غابة السؤال في سيرة الرسول) لمؤلفه عبد الباسط النحفي. والصحيفة العلوية للامام علي (ع) والجنة الوافية وكلاهما ادعية مطبعة بالطباعة الحجرية في ايران.. مما يؤكد ان مثل هذه الاسرة العريقة بالتدريس والتاليف كان الكثير من اعلامها وانجالهم قريبين من الوراقة وعالمها وادابها.

وقد اورد الاستاذ عباس العزاوي في كتابه "تاريخ الادب العربي في العراق" عن مثل هذه النماذج للوراقين المؤلفين او المؤلفين الوراقين مثل الشيخ حسن القفطان وهو وراق في احد اواوين الصحن في النجف الاشرف ومؤلف العديد من الكتب العربية (وسنأتي على ترجمة حياته وكتبه فيما بعد)، كما ان جدي المرحوم السيد كاظم الحيدري واخاه السيد عبد الكريم ابنا العلامة السيد حسين السيد حيدر، كانا من علماء بغداد ووراقيها، حيث كان للاول بعض المؤلفات والمجاميع الخطبة وترك مخطوطة ابتداء فيها بتفسير القرآن الكريم الا ان الاجل لم يهمله لانجاز مثل هذا العمل الكبير حيث توفي وهو ابن ٣٩ سنة عام ١٨٨٥، وقد ذكره العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه (المثل العليا في الاسلام) هو واباه السيد حسين في مقام العلماء الذين ادركهم في بغداد، كما ان اخاه السيد عبد الكريم كان قد احتل مقام ابيه في (دواخانة) المرحوم السيد حسين السيد حيدر، وكان له مقام وزعامة في بغداد وشارك في نشاطات دينية ووطنية مهمة، وانشا على حسابه الخاص حسينية في محلة الدهانة، كانت مركزا مهما من مراكز نشاط الوطنيين في بغداد، وقد اجتمع المرحوم الملك فيصل الاول به، عند مجيئه الى العراق ودعاه ليكون من الاعوان والخاصة لما بينهما من نسب حسيني هاشمي، الا ان الرجل رجاه ان يكتفي منه بالدعاء والتاييد في حكمه للشعب بالعدل والمساواة ولعل الكثير ممن عاشوا تلك الايام يذكرون تشييعه المهيب عند وفاته سنة ١٩٤٤ م حيث حمل على الرؤوس الى الكاظمية من قبل الاف الناس ليدفن في حسينية العائلة هناك، لقد كانت ممارسة الاخوين الانفين لحرفة الوراقة اواخر القرن التاسع عشر وفي سوق السراي وان لم تدم طويلا، الا انها كانت خير ميراث لوالدي السيد عبد الامير الحيدري عندما انصرف الى هذه الحرفة فيما بعد والتي نعتز بها.

وخلاصة القول ان الوراق لم يكن مجرد بائع ومشتر للكتاب، بل له دور مهم في مسيرة الكتاب وانتقائه ونشره بين الدارسين الذين تنتظرهم الامة وتامل منهم كل تقدم وازدهار للعلم والمعرفة، وضمن هذا الفهم الحضاري للعلم تعددت قوميات المدرسين والدارسين وتبادلوا الانتفاع والفضل في اكتساب العلم ونشره فبالاضافة للعرب كان هناك اكراد وترك وفرس وهنود نهلوا من العلم وافادوا واستفادوا في بغداد منارة العلم والحضارة.

التراث البغدادي الضائع

فؤاد طه محمد
باحث عراقي

من اراد ان يتصدى لتدوين التاريخ الاجتماعي لمدينة السلام، بغداد ، يجد نفسه امام موروث شعبي اصيل انحدر اليه من الاجيال السالفة بكل ما حملت صدوره! من حكايات وكنايات وامثال عامية وحرف وصناعات واصوات وانغام، ومعظم ذلك الموروث الادبي الشعبي لم يدون ولم تتجرد الاقلام لتقييده وضبطه من افواه العوام قبل ان ينطوي جيل المخضرمين من البغداديين وتنطوي معه صحائف رائعة من تراث خالد صميم فيحرم الخلف ارض السلف.

ان تراث كل قوم هو نتاج حياتهم وبيئتهم وعلى اساسه تدرس السيرة اليومية للفرد، ولقد انحدرت الينا من بقايا تلك العهود الخوالي ما يستحق الحصر والتسجيل ليكون من وراء ذلك تاريخ اجتماعي ادبي لهذه المدينة الخالدة في جبين الزمان.

والغريب في الامر ان معظم الذين دونوا المأثورات البغدادية كانوا من رعيل العلماء، ولم نجد بينهم باحثا اجتماعيا افرد جهده لرصد تلك النتاجات الشعبية، فان شيخ العصر المرحوم محمود شكري الالوسي كان من الاوائل الرواد، في هذا المضمار، بعده تاتي جهود الشيخ (عبد الحميد عبادة). وقد عرف الاول بولعه الشديد في جمع الامثال العامية من افواه اهلها، كما عكف سنوات على جمع مادة كتابه الذي يؤرخ لمدينة السلام ومساجدها ومعاهد العلم فيها، كما ان الشيخ استاذنا جلال الحنفي البغدادي كان من الرواد الاول في مضمار المأثور البغدادي ولعله اعزر هؤلاء الباحثين انتاجا. ويعتبر كتابه (معجم اللغة العامية البغدادية)، من امهات المصادر التراثية النادرة التي تزهو بها بغداد لما انطوى عليه من نفائي في الامثال والمواقع والشخصيات والاستطرادات وهو جهد تنوء به الجماعة المختصة ولو اوكل اليها مثل هذا العمل فيكف وهو جهد فردي دائب على مدى سنوات العمر؟!.

كما ان الاب انستاس الكرملي هو الاخر من رجالات سلك الكهانة ولعل اهتماماته الدقيقة وابحاثة العميقة في التاريخ البغدادي قد اكسب الاجيال ثروة رائعة بما نشره وحققه واستقصاه. ومجلة (لغة العرب) خير شاهد لخير رائد وكانت السيدة (عائسة الهاشمية) من السابقات اللاتي عكفن على جمع المثل البغدادي والحكايات الشعبية، ولها في ذلك مجالس رائعة تذكرنا ببغداد في زاهي عصورها ، وهذه السيدة من بيت علم وادب، درست على يد والدها السيد يحيى بن السيد عبد القادر الهاشمي وترددت على مجالس الوعظ والارشاد واولعت بالتفسير القصصي للقرآن الكريم وشاركت اشقاءها الشعراء الادباء في دراساتهم، وارسلت الاسئلة الى شيخ الوقت (علي علاء الدين الالوسي) رحمه الله وعلمت الكثيرات من نساء محلتها القراءة والكتابة والقرآن الكريم والحديث الشريف، كان لها مجموع من الامثال الشعبية البغدادية استعان به شقيقه (محم الهاشمي) في تاليف مجموعته الرائعة التي جعلها العميد (عبد الرحمن التكريتي) مصدرا هاما لموسوعته الشعيرة في الامثال العامية البغدادية، والذي سمعناه منها خلال الاربعين السنة الماضية ودوناه عن لسانها يعتبر بحد ذاته مجموعة نادرة للمثل البغدادي في جانب الكرخ وباللفظة التي كان عليها قبل قرن من الزمان.

كما استعان بها رجل من ابناء عمومتها هو المرحوم (ناجي شاكر) اللواء الركن ومدير الاعاشة العام سابقا في تاليف كتابه – الذي لم يشرحه – عن امثال بغداد في القرن الماضي.

ولقد اطلع المرحوم (توفيق السويدي) على مسودة هذا الكتاب النفيس ونصح مؤلفه بشرحه وتبويبه ونشره خدمة لتاريخ مدينة السلام.

ان التطور المادي السريع والانتقال الهائل الى عصر الالة يتطلب من الانسان ان يحتفظ بثروته التي الت اليه من حكايا الجدات واسعار الليالي واساطير السنين الخوالي، فالتاريخ الاجتماعي لهذه المدينة التي تشهد اليوم تطورا في مسيرة نهضتها المعاصرة يستدعي تنشيط حركة توثيق فكر السلف، فابناء الاجيال الاتية لا تعرف اين يقع (نهر المسعودي). كما انا لا تدري اين هو اليوم ٠درب ابو علي) لانها شهدت متحفا ضخما يقوم على ارض بستان الارضرومللي في كرخ بغداد، وهي لاتستطيع ان تحدد بالضبط (دربونه طنطل والعبدروسي) لانهما صارا في عالم الزوال وامتدت على ارضهما ساحة الطلائع، اما (درب الشط ودربونه العبيد وزقاق السادة والدهدوانة) فتوشك ان تكون قد انطمست معالم اسمائها لطغيان اسماء جديدة عليها، وحركة توثيق التراث يجب ان ترافقها حركة توثيق الاسماء والمشاهد والمحلات والدروب والبقاع، فما كانت لالامس البعيد او الامس القريب خانات وزوايا وازقة وطاقات اصبحت اليوم ساحات وشوارع وارصفة وعمائر، والدرابين التي كانت مغلقة بظلام القرون واشباح الماضي صارت الان مسالك واضحة وطرقات معبدة لايغشاها الظلام، هذا التحول من حياة الى حياة ومن نهج الى نهج ومن بيئة الى اخرى لازمة تحول اخر في الاسماء والاعلام والعناوين، فحركة التوثيق يجب ان تاتي على ذلك كله وتجعله مندرجا ضمن عمل منهجي موسوعي لايترك شاردا او واردا الا اتى عليه.

يذكرني هذا الكلام بما فعله المرحوم (علي مبارك باشا) وهو ابو التعليم في مصر والوزير الخطير في عهد من ادق عهودها، لم يانف هذا الباشا من ان يقوم بنفسه بسياحة خططية في دروب مصر ودار بينها ودورها وقصورها ومساجدها وسبل الماء على فارعات الطريق الثكايا والزوايا والقلاع ليسجل اثره الضخم النفيس الذي اطلق عليه اسم (الخطط التوفيقية) فيترك للاجيال ثروة رائعة في خطط القاهرة المعزية وما فيها من معالم ومشاهد واثار.

وهذا اديب مصر الكبير واستاذ شوقي وحافظ المرحوم (حفني ناصف) يترصد للغة الصعيد فيسجل غريبها ويقيد اواصر لهجة القوم ويخلد ذلك كله في كتابه (غريب لغة الصعيد) وكذلك ما فعله العلامة (احمد امين) في كتابه (قاموس العادات والتقاليد) الذي يدل على جهد متاصل وتعلق صميم بتراث عامة الشعب في افراحه واتراحه، ومثل هؤلاء العلامة (احمد تيمور باشا) في العشرات من ابحاثه وفي معجمه عن الامثال العامية المصرية وكتابه في الكنايات.

ولقد روى لي شاهد عيان انه رافق محمود الالوسي في جولته على مساجد بغداد وثكاياها انه كان ينقل يصدق وامانة نقلا حرفيا كل الكتابات والشواهد والمنظومات والايات والتواريخ التي تطالعه على ابوابها ولما ول الى تكية السيد سلطان علي داعبه شيخها العلامة الامام ابراهيم الراوي الرفاعي قائلا: هذا جهد ضائع يا شيخ! فضحك الالوسي وقال: ولكنه خير من ضرب الدفوف ووضع الحراب على الرفوف وكان في المجلس الاستاذ عبد اللطيف ثنيان صاحب (الرقيب) والمعروف بمجابهاته بطرق المتصوفة فضحك وقال: هل قلت يا شيخ انه خير من ضرب الدفوف وهو القحوف وليس الصوف والتغني على الشارب المحفوف؟!.. وكان الشيخ ابراهيم اسرع المجلس الى الضحك لانه عرف بصفاء القلب واليسر والاسماح في الفكر والمعتقد.

ان ما فعلته مجلة (التراث الشعبي) هو جهد كريم مشكور ولكنا لا نجد حصة لبغداد وتاريخها الا في مقالات وابحاث معدودة وياليتها لو خصصت اعدادا من دورياتها ينفرد واحد منها في معالجة خطط بغداد على ضوء ما استجد عليها من تحوير وعمران، واخر يختص في معالجة المثل البغدادي وفلسفته وثالث يجتني الحكايات البغدادية واخر يضم ترجم اغلام البغداديين الى غير ذلك مما هو في طريقه الى الضياع.

اثناء عكوفي على جمع مراسلات البغداديين من ادباء وشعراء وعلماء وقعت على الكثير من اسماء الشخصيات والاماكن والحوادث كل ذلك مازال في النسيان فان المكتبات العائلية تضم اشتاتا من اخبار الجيلين الماضيين والوانا حلوة من ادب الرسائل بذلك النثر المرسل والاسلوب المنمق الرصين اضافته الى معلومات غزيرة لم تتطرق لها كتب الادب والتاريخ، وهو جانب ىخر يضاف الى الضائع من تراث بغداد واثارها الادبية التي لم تدون الى اليوم .. انها دعوة لتقييد ذلك كله فالعتب يقع على الكتاب البغداديين اولا فهم اولى بمدينتهم من (روبرت ادمز)، و(ريتشارد كوك) و(جونز فليكس) وغيرهم ممن جذبتهم اضواء الف ليلة وليلة اليها وسحرتهم اصوات الداعين على المناثر وامسيات رمضان.. الا هل بلغت؟.. اللهم فاشهد.

لقاء مع امين المميز

حين دخلت الكهرباء البيوت

للذكريات طعم خاص وخاصة عندما يتحدث عنها أصحاب الذاكرة والذين يؤرخون جانبا من حياتهم الخاصة او حياة مدينتهم التي يعتزون بها.. واليوم يتحدث شاهد من اهل بغداد.. انها مناسبة للذكرى ومناسبة للحديث عن الماضي الجميل للمدينة الجميلة. الاستاذ امين المميز يعود بنا من خلال هذا الحوار الذي استذكر فيه بغداد القديمة.. كيف كانت وكيف عاش البغداديون فيها.

حوار : محمود هادي العبوسي

صورة لامين المميز

المدرسة المستنصرية

سؤال (١) الاستاذ امين المميز: انت من قدامى البغداديين، فهل لك ان تنورنا عن بعض نواحي الحياة البغدادية التي عاصرتها، وذلك بمناسبة يوم بغداد لهذا العام؟

الجواب: نعم ، لقد فطنت على بغداد ايام العهد العثماني وكان عمري نحو الست سنوات، وكانت محصورة بين الخندق ونور مجلة من جهة الرصافة، وبين النهر وحقول وبساتين ومقابر الشيخ معروف والشيخ جنيد، ومن الشمال محلة الجعيفر ومن الجنوب محلة الكريمات من جهة الكرخ ويربط الصوبين جسر خشبي عائم مكون من جساريات من الخشب ومهدد بالقطع كلما ارتفع منسوب مياه دجلة، بينما كان في بغداد قبل العدوان الثلاثيني عشرة جسور حديدية ثابتة دمرت ثلاثة منها بالقصف العداوني وتم اصلاحها بوقت قياسي وجهود عراقية جبارة ومواد محلية صرفة.

كان يحيط بغداد سور لم يبق منه الان سوى جزء قليل يقع بين قاعة الشعب وجامع الازبك، وكان في السور القديم اربعة ابواب هي باب المعظم وباب الطلسم والباب الوسطاني والباب الشرقي، وكان ترددي على باب المعظم اكثر من الابواب الاخرى لاننا كنا نمر منها في طريقنا الى بستان الصرافية، الواقعة خارج السور والخندق، وقد هدمت باب المعظم سنة ١٩٢٥م لتوسيع الساحة المقابلة لها والتي تقع عليها قاعة الشعب، كانت بغداد يوم ذاك عبارة عن محلات وبيوت متلاصقة اشبه بكورة الزنابير، تتخللها درابين وعكود ضيقة بعضها لايتجاوز عرضة مترين. ولم يكن في بغداد الامس لا شوارع ولا ساحات ولا حدائق ولا متنزهات ولا ملاعب رياضية. واول شارع فتح فيها كان ايام الوالي خليل باشا وقد سمي باسمه (خليل باشا جاده سي) ويسمى اليوم شارع الرشيد، ان فتح هذا الشارع قد لازمته مشاكل عديدة، فعندما اقترب الهدم من منطقة الحيدر خانة احتج الاهالي واصحاب الدكاكين والوجهاء الذين يطال الهدم بيوتهم. فما كان من رئيس البلدية وكان يومئذ المرحوم رؤوف الجادرجي، الا ان يامر بالهدم ليلا، ولما الصباح اصباح جوبه الناس بالامر الواقع وليس لديهم من يشتكون اليه الا الله، ثم استمر الهدم حتى بلغ محلة السنك حيث تقع القنصلية البريطانية المعروفة محليا (بيت الباليوز) فاعترض القنصل البريطاني على هدم بعض مرافق القنصلية وجزء من حديقتها، فتوقف الهدم حتى نهاية الحرب العالمية الاولى وبعد احتلال بغداد استمر تنفيذ المشروع حتى وصل الى الباب الشرقي، لقد كانت هناك قنصليات اخرى عدا القنصلية البريطانية استفادت من توقف الهدم منها القنصلية الالمانية وكانت اوسع القنصليات ابان تشييد خط برلين – بغداد واشتهر قنصلها بين الاوساط البغدادية التي كانت تتندر باخباره، وكان اسمه (الهر ريجارد)، ولكن الاهالي يسمونه (ريشان) وكان اقرب اصدقائه ووكيل مشتريات القنصلية المرحوم الملا عبود الكرخي وكان القنصل الالماني (ريشان) ينتقل بين محلات بغداد راكبا عربة ذات (جرخين) يجرها (تك حصان) يسوقه القنصل نفسه. لم تكن بغداد التي وصفتها انفا من انها مثل (كورة الزنانير) بحاجة الى وسائط نقل، فكان الناس ينتقلون اما مشيا على الاقدام او ركوبا على الدواب، واتذكر بعض الذين شاهدتهم يركبون الخيل والحمير او البغال، سواء اثناء العهد العثماني او ابان الاحتلال البريطاني او في اوائل الحكم الوطني منهم الطبيب اليوناني (ياقو) الذي كان يمتطي حمارا اسود اللون، والطبيب الايراني اليهودي (مرزا يعقوب) الذي كان يزور مرضاه راكبا فرسا بيضاء، واليهودي (مير الياس) الذي كان يمتطي حمارا حساويا ليوصله من بينه في (ابو سيفين) الى المستشفى الذي شيده في العلوازيه. والعالم عبد السلام الشواف الذي كان يطوف محلات الكرخ ممتطيا البرنون الابيض، والشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي الذي كان يركب بغلة بيضاء، وصلاح الدين الضراع متولي اوقاف العلوية المعروف بين اصدقائه ومحبيه (الملا شجر) الذي يمتطي حمارا ابيض، ومن الشخصيات الاخرى كان المرحوم (ادوار سيزار) الذي كان مترجما لدى الحاكم العسكري (ارنولد ويلسون) ثم مع السيد برسي كوكس، وبعد ذلك كان مدرسا للغة الانكليزية في المدرسة الثانوية فكان الشاهد بين حين واخر راكبا حصانا ومعتمرا برنيطة ومصطحبا حقيبة تضم الرسائل و(الصوغات) و(الخرجية) التي يرسلها نوري السعيد بواسطة الحاكم العسكري الى عائلته التي كانت تسكن محلة (رأس الكنيسة) ابان وجوده خارج العراق بمعية الملك فيصل الاول.

اما وسائط النقل الأخرى غير الخيل والحمير والبغال فكان (البلم) و(الكفة) و(الجلج) و(الشختور) وسائط النقل النهري، والعربات على انواعها (الربل) او (اللاندون) والبرشقة من وسائط النقل البري. ولما تولى الوالي المصلح مدحت باشا ولاية بغداد سنة ١٨٧٩ م اسس واسطة نقل بري جديدة هي (الكاري) الذي يصل صوب الكرخ بالكاظمية، ان عربة (الكاري) تسير على سكة الحديد ويجرها زوج من الخيول تستبدل بزوج اخر من منتصف الطريق بين الكرخ والكاظمية وهي محطة (المنطكة) لقد ركب (الكاري) مرة واحدة في حياتي وكأني ركبت طيارة (جامبو) فقد دعاني صديقي المرحوم إبراهيم الجلبي ابن الحاج عبد الحسين الجلبي وزير المعارف في معظم الوزارات العراقية الى قصرهم المعروف بـ (القصر ابو الايل) وهو المحطة قبل الاخيرة من وصول الكاري الى الكاظمية وهو الآن موقع ساحة الشاعر عبد المحسن الكاظمي. وكانت الدعوة لتناول الغداء يومئذ (القسنجون) وهي أكلة ايرانية يسحنها طبلخهم الايراني المدعو (ميرزا قلي)!!.

ايها الاخ الكريم: لقد جئت لزيارتي بالسيارة وربما استغرقت الرحلة بين بيتك وبيتي ربع ساعة.. ولكن هل تعلم كم كانت الرحلة تستغرق من الوقت بين دارنا القديم الواقع في محلة (الدنكجية) وداري في الصرافية؟ كانت تستغرق بين ساعتين او ثلاث ساعات واليك التفاصيل: نغادر البيت صباحا باتجاه سوق السراي مشيا على الاقدام، ونستقل (البلم) من شريعة (المكتب) ليوصلنا الى شريعة المجيدية (موقع مدينة الطب) حيث ينتظرنا الفلاح مستصحبا الخيل التي نمتطيها لتوصلنا الى بستان الصرافية موقع لسفارة اللبنانية حاليا) قنصلها بعد ثلاث ساعات على اقل تقدير ومثل هذا الوقت تستغرق رحلة العودة من الصرافية الى الدنكجية.

فقارن بين تلك الرحلة وبين رحلتك في الوصول الى بسيارتك اما السيارة الوحيدة التي وصلت بغداد في اواخر العهد العثماني فكانت سيارة الوجيه (حمدي بابان) ما عدا سيارة الوالي (خليل باشا) ولاسيارة غيرهما في بغداد، اما الان فان مئات الالوف من السيارات تطوف شوارع بغداد التي صارت تزدحم بها.

سؤال (٢): هل لك ان تنورنا عن الخدمات العامة في بغداد كما عرفتها وبغداد اليوم؟

الجواب: اظن انك تقصد بالخدمات العامة الماء، الكهرباء، الامن، والصحة وما شاكل ذلك مما تقوم به عدة وزارات ومؤسسات وامانة بغداد في الوقت الحاضر.

فاما الماء، فكان امرنا معه مفجعا ومؤلما وبائسا. كنا نعتمد على السقاقي (جمع سقا) لتزويدنا بالماء من اقرب شريعة، وهي مياه ملوثة وقذرة و(خابطة) خاصة في مواسم الفيضان، فتملا (الحباب) بها ونصفي شيئا منها (بالبوكات) للشرب، ونستعين احيانا بماء البئر، ولكنه مالح و(مج) لايصلح لا للشرب ولا للطبخ، وكنا نستعمل البئر، (كثلاجة) لتبريد الفواكه في الصيف لان ماء البئر بارد يكون دافئا في الشتار فنستعمله للوضوء!! وبعد الاحتلال البريطاني لبغداد تاسست في بلدية بغداد لجنة اسالة الماء، فشيدت منشات بدائية في ستان الصرافية، فحفرت احواضا واسعة تملاها بالماء الذي تسحبه المضخات من النهر ثم تضخه بالانابيب الى بعض مناطق بغداد،

بعد ان تتم تصفيته بالشب، فلا (كلور) ولا (اوزون) ولاهم يحزنون!!.

واما الكهرباء، فلم يكن موجودا في بغداد حتى الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧ م وكانت وسائل الانارة تقتصر على الفوانيس واللالات والثريات اوالايزات و(الادارات) التي تنار بالنفط والقناديل التي تنار (بالشيرج) وعلى شموع الكافور. وبعد الاحتلال تاسست في (العبا خانة) محطة للكهرباء لتزويد الشوارع والدور والدوائر بالكهرباء، فصرنا ندرس على ضوء المصابيح الكهربائية المنصوبة في الشارع المؤدي الى الجسر والمسمى يومئذ (عكد الصخر) وبعد عدة سنوات من تلك المعاناة توسعت شركة الكهرباء واسست محطة كهرباء الصرافية التي الغيت في الوقت الحاضر، بعد انشاء مصلحة الكهرباء الوطنية.

اما الامن فانه يتقف على قوة وضعف وحزم السلطة. فاذا كان جهاز الامن قويا وحازما امن الناس على حياتهم واموالهم وعلى اعراضهم. ولكن الجهاز كان على العموم ضعيفا في العهود الماضية، والعقاب على الجرائم متساهلا جدا ولم يحصل في بغداد طوال العهد العثماني غير حادثة اعدام واحدة عن جريمة اقترفها قاتل من اصل الاعظمية اسمه (ملكي) عندما ذبح ابن اخته في بستان الصرافية من الوريد الى الوريد فحكم بالاعدام ويجوز تخفيف العقوبة اذا ما تنازلت والدة المقتول عن حقها الشخصي ولكنها رفضت ان تتنازل واصرت على تنفيذ حكم الاعدام باخيها امامها فقيل بحقها البيت التالي:

ياللي صلبت (ملكي) رخي جنبته القاضي والمفتي مارضوا اخته (الجنبة هي حبل الجنب (القنب) الذي يستعمل للاعدام، ان حفظ الامن الداخلي لم يكن من واجبات الجيش العثماني وان واجب الجندرمة لايمثل الحراسة الليلية المنوطة بجهاز خاص يطلق على افراده اسماء (الجرخجية او البصوانية او البكجية، وهي كلمة تركية تعنى الحارس الليلي).

ان اصلاح الشرطة لم يكن معروفا في العهد العثماني فكان الافراد المناطة بهم مهمة الشرطة يعرفون اما (جندرمة) او (نوبة جي) او (جته) او (الهائية) ثم صار الشرطي يسمى (البليص) ومركز الشرطة (الوليس خانة).

يروى تاريخ بغداد ان احد الولاة المسمى (سليمان باشا ابو ليله) وقد اشتهر بهذا الاسم لانه كان يقوم بالتفتيش على الامن في بغداد او مباغتة الخارجين على القانون من العشائر ليلا، لذلك سمي (ابو ليلة) وعرضا فان سليمان باشا هذا هو زوج عادله خاتون بنت احمد باشا والي بغداد الذي اشتهر بمواقفه لحماية بغداد من الغزو الفارسي ايام نادرقلي شاه ايران الذي حاصر بغداد لمدة سبعة اشهر ولكنه لم يستطع اقتحامها، لان البغادة صمدوا للحصار ايما صمود ولما ارسل الشاه وفدا ليفاتح الوالي باستلام اوعز الوالي الى اصحاب العلاوي والدكاكين ان يعرضوا اما الوفد كل ماديهم من سلع وبضائع وطعام وشراب وفواكه. فانبهر الوفد مما شاهدوه من خير لدى اهل بغداد بعد حصار دام سبعة اشهر، فعاد الوفد ليخبر الشاه بعدم جدوى الحصار لان هؤلاء الناس (ما ينحطون بالعب)، فما كان من الشاه المغرور الا ان يلملم جيشه ويحمل قلاقيله وينكفى الى اعماق ايران لايلوى على شيء!! ان للوالي موضوع البحث ابنه سمها عادلة خاتون وقد شيدت في بغداد جامعين يحملان اسمها وقد تعرض الجامعان للقصف الجوي المعادي الذي لم تسلم منه حتى بيوت الله ومع ذلك يقول رئيس الولايات المتحدة المستر بوش في احدى مؤتمراته الصحفية.

(We have no quarrel with the Iraqi people) اي (ليس لنا نزاع مع الشعب العراقي) غير انه قد تبين بان نزاعه هو مع الله وبيوته وكنائيس المسيح ومع الشعب العراقية برمته شيوخا ونساء واطفالا.

نعود الى موضوعنا عن الخدمات العامة في بغداد ايام زمان ان الكلام عن الصحة والامراض يدي القلب. فلم يكن في بغداد مستشفيات ولا مستوصفات ولا عيادات ولا اطباء ولا دواء ولا تلقيح ولا اي شيء يحي البشر من الموت، سوى دواءمستشفى واحد بني في جانب الكرخ في اواخر العهد العثماني من تبرعات الاهلين يسمى (مستشفى الغرباء) اصبح في اوائل الحكم الوطني مقرا للمجلس التاسيسي ان معالجة المرضى كانت تتم على يد (المزانية) اي الحلاقين والدجالين والمشعوذين والسحرة وما اليهم وان العلاج كان بدائيا بشكل فظيع، واذا ما اجتاح البلد وباء كالطاعون او ابو زوعة (الهيضة) او التيفو او الجدري لم تعد المقابر تتسع للموتى، فاذا الم مرض بشخص مهما كان ذلك المرض بسيطا واملا للشفاء باقل قدر من الحيطة والمعالجة وبابسط انواع الاعشاب التي يشتريها المواطنون من سوق الشورجة او من سائر العطارين.

وان النتيجة الحتمية هو الموت ، لنا اربعة اطفال لوالدينا، وقد اصيب الطفل الرابع بالحصبة التي كان يمكن معاجتها بسهولة في هذه الايام غير ان الاختلاطات التي رافقت المرض اودت بحياة الطفل لفقدان الدواء او اللقاح!!.

والذكريات صدى السنين الحاكي

الحلاق طبيب المحلة وخاتن أولادها!

صادق الازدي
صحفي عراقي راحل

احد حلاقي الطرق وا لازقة والشوارع اثناء اداء عمله

يصح القول إن "الحلاقة" واحدة من أقدم المهن التي مارسها الإنسان، وقد يستغني إنسان اليوم عن شراء حاجة من الحاجات، كما قد يقاطع أكلة أو فاكهة أو خضرة، ولكنه لا يستطيع الاستغناء عن مراجعة الحلاق الذي يشذب شعر رأسه، أو يزيل لحيته أو يقوم اعوجاج شاربه، وليس بين العالمين كلهم من لا يفعل ذلك مع وجود ماكنة الحلاقة اليدوية والكهربائية لحلق اللحى، ولكن تظل بعض لمسات أصابع الحلاقة ضرورية للرؤوس، وبضمنها رؤوس الفلاسفة الذين أطلقوا شعور رؤوسهم!.

مهنة صعبة!

ولو عدنا الى العهود القديمة، وفكرنا بالأدوات البدائية التي كانوا يستعملونها في الحلاقة، عندها سندرك كم هي صعبة مهنة حلق الرؤوس واللحى في تلك الأيام الخوالي، بل حتى لو عدنا الى الوراء.. الى القرن التاسع عشر لوجدنا ان الحلاقة كانت تتم بصعوبة بالغة، وان الذي يشع رأسه بين يدي الحلاق لا يمكن ان تتم حلاقة رأسه ووجهه الا بعد اصابته بعدة جروح تسيل منها الدماء وقد انتشرت في الوجه والرأس!.

وإذا كان الإنسان اليوم يضع رأسه بين يدي الحلاق دون ان يرهبه "الموس"، فان الحلاقة قديما كانت مثل العملية الجراحية، ولا تتم إلا بعد مشقة!.

الحلاقون القدامى

وعندما نذهب اليوم إلى الحلاقين وهم يعملون في صالوناتهم وبعضها تستقبل أكثر من زبون في آن واحد، وتحلق لهم رؤوسهم ولحاهم، فان الحلاقين القدامى لم يكونوا كذلك!.. كان لكل محلة حلاقها وهو من سكانها، كما كان في معظم أسواق المدن بعض الحلاقين، وكذلك الأمر بالنسبة للشوارع الرئيسية، ولكن الدكاكين التي كانوا يعملون فيها غاية في البساطة، فليس في دكان الحلاق إلا المرآة والكرسي والمقعد الواسع الذي يجلس عليه بعض الزبائن، ثم أدوات الحلاقة وضروياتها!.

الحلاق المتجول

وكان بعض الحلاقين يعملون وليس لأي منهم دكانه، فأنهم يتجولون في الأزقة والشوارع والأسواق، وهم يحملون "عدتهم" على بطونهم وقد الصقوا المكان المخصص لوضع أدوات الحلاقة على أحزمتهم عن البطن، او أنهم يضعونها في حقائب يدوية صغيرة، كما يحملون معهم مقاعد صغيرة يتم طيها وحملها باليد!.

وكان بين سكان محلتي – القره غول – احد اولئك الحلاقين واسمه "جرمط"، كما كان غير بعيد عن المحلة في منطقة "كهوة حجي عزيز" يقوم دكان "الحلاق حوكي" وقد كنت من زبائن الثاني في طفولتي، وان كان الأول قد علق بذهني كذلك لانه كان لا يكتفي بالحلاقة، بل كان يمارس "الحجامة"، ولست ادري هل كان يؤدي "خدمات طبية" اخرى مثل "حوكي" ام لا!.

أطباء

فان "حكومي الحلاق" مثل غيره من حلاقي أيام زمان كان يحلق الرؤوس واللحى، ويقوم بـ "ختان" الأطفال، كما كان يعالج بعض الأمراض ويصف الأدوية لها، وكان يتم الحصول على الأدوية من العطارين القريبين او من زملائهم في "سوق الشورجة"، ومعظم تلك الأدوية تتألف من النباتات والأعشاب.

وكان "حوكي" مثل غيره من الحلاقين، لا يقوم بالحلاقة وختن الأولاد حسب، بل كان يقوم بالحجامة كذلك، ولا لوم عليهم، فان اوضاع التخلف هي التي أعطتهم الحق في القيام بكل تلك الأعمال بسبب الجهل العام، والفقر السائد! فالحلاق كان لا يتورع عن ان يكون من أطباء الأسنان، فيخلع لك السن الذي تتألم منه.. وبـ "الكلابتين"!.

دكاكين حلاقة حديثة

وبعد قيام النظام المكلي، وتبليط شارع الرشيد، نشطت الحياة في "منطقة الميدان" فقد قامت في تلك المنطقة عشرات الفنادق والملاهي والدكاكين الحديثة للحلاقين والمخازن، وكان من أشهر الحلاقين في الميدان صالون عزت وصالون ياس، وكان معظم رجالات الدولة يحلقون رؤوسهم ولحاهم عندها، وكنت تجد في "صالونيهما" قبل حلول المساء بعض زبائنهم من العسكريين والمدنيين الذين دخلوا التاريخ بحكم اشتراكهم في الوزارات السابقة أو اشتراكهم في الحركات السياسية!.

وقد حل محل "عزت وياس" بعض الذين تعلموا منهما، وكان آخرهم "محمد مكي" الذي ترك العمل مؤخرا لاسباب صحية، وقبله فعل "مثله" عبدالله نصيف"، وهما من اشهر حلاقي الميدان، وكان يعمل في "الحيدرخانة" الحلاق كريم عباس – رحمه الله – وكان يقوم بحلق راس الملك فيصل الثاني.!

صالونات نسائية

ولم تكن صالونات الحلاقة النسائية معروفة عندنا، وقد تم فتح بعضها أول الأمر في "منطقة السنك" حيث كانت تقوم اهم الفنادي في حينه مثل: "زيا وسمير اميس وريجنت بالاس" وغيرها، ولما كانت نساء الانكليز العاملين في بغداد، وبعض الممثليات الاجنبية في العاصمة يحتجن الى من يحلق لهن شعورهن بعد ان شاعت في اوروبا موضة قص الشعر اثناء الحرب العالمية الاولى، فقد تم بعض الصالونات النسائية، وصارت بعض العراقيات من روادها بعد ان صرن يقصرن شعورهن، ثم صارت تلك الصالونات للتجميل اكثر مما هي لقص الشعر، وتكاثرت كصالونات الرجال التي نجدها انيقة، وواسعة، ونظيفة، وفي معظم مدننا، او كلها على الاصح!.

مجلة قرندل

مذكرات طفلة يهودية من عهد الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم

مازن لطيف

يعد عهد الزيم عبد الكريم قاسم عصراً ذهبياً ثانياً بالنسبة ليهود العراق فقط كان عهد الملك فيصل الأول عصراً ذهبياً أول .. في ذكريات لسيدة فاضلة ولدت في العراق عام ١٩٥١ وكان عمرها سبع سنين عند قيام ثورة١٤ تموز عام ١٩٥٨ ولازلت حتى اليوم تتذكر كيف كان والدها يحملها صباح يوم ذلك حيث نزلا من السطح عند سماع الاطلاقات النارية من بعيد.

وسرعان ما فهمت تلك الطفة ذات السنين السبعة ما يجري حولها. لقد اصبح العراق جمهورية وسقطت الملكية، وأنباء الثورة كانت تبث في الراديو.

ومما تتذكره من اول ايام الثورة نشوب الحريق الهائل في مخازن النفط في ظهرية يوم الخميس عندما كانت تتناول وجبة الغداء المؤلفة من البيض المسلوق واللوبيا. فقد كان من احد عادات اليهود أكل وجبة لا تحتوي على اللحم في ايام الخميس. وأصابها الذعر ككل الناس في منطقة "بستان الخس" التي كانت تسكنها، اللذين تركوا ديارهم راكضين للابتعاد قدر الامكان.

وأخذت والدتها ما كان لدينا من نقود في الدار وقفلت الباب وخرجوا للشارع. وقد تأثرت جدا لمنظر جدتها المعاقة تلفها العباية السوداء وهي تحاول ان تسرع خطواتها قدر امكانها. وبعد السير مسافة ما في الشارع ولحسن الحظ ركبوا التكسي وذهبوا لأقربائهم الساكنين في منطقة المسبح. وسرعان ما هدأت الامور وعادوا لبيتهم .

كان اهل تلك الطفلة عائلة ذات مستوى ثقافي راق وكانوا يفسرون لها ولاخوتها ما يدور في البلاد بجانب تفسير مصطلحات واسماء التي لم تسمعها من قبل مثل الاستعمار والاقطاع والرجعية. وسرعان ما فهمت هي وغيرها من الاطفال بان هذا العهد الجديد مبارك وفيه الخير لكافة ابناء الشعب العراقي بما فيهم اليهود. وعمت الفرحة بجمهورية العراق وبزعيمها المبجل عبد الكريم قاسم. وصارت تتسابق مع الأطفال من يرسم شعار الجمهورية بصورة دقيقة ويعرف كل ما يحتويه ويمثله الشعار.

العام الاول للثورة:

كبرت الطفلة عام وأصبح عمرها ثمانية اعوام ولازلت حتى اليوم تشعر بالسعادة التي غمرتها في حياتها، كيهود خاصة في ذلك العصر فقد اصبحت تعي بانها وطائفتها اصبحوا احرار ولاتوجد تفرقة بينهم وبين باقي ابناء الشعب.

(نعم لقد أعاد الزعيم لليهود العراقيين حقوقهم كمواطنين بعد ان كانت مسلوبة منهم في العهد البائد وهي اعادة حق التعلم في الجامعة واعادة جواز السفر لخارج العراق). فصار اليهود يسافرون للاصطياف في لبنان بعد ان كان ذلك محظورا عليهم ودخلوا جامعة بغداد وتعلموا الطب وكافة الدراسات العليا بدون أي قيد او شرط.

تروي "ر.ح" ان مدرستها "فرنك عيني" كانت تقيم في عهد الثورة كل سنة حفلة لتوزيع الجوائز على الطلاب الممتازين في صفوفهم لتشجيعهم وحثهم على طلب العلم. كانت هذه الحفلة تدعى "حفلة جوائز نقار" وكانت تقام في حديقة المدرسة الكبيرة. هذه الحفلة السنوية كانت برعاية الحاخام ساسون خضوري ومدير المدرسة الاستاذ عبد الله عوبديا. وكان الطلاب الحائزون على الجائزة في تلك السنة يقدمون للمسرح بملابسهم البيضاء وعلى صدورهم الأوسمة ، وسام الاولية والامثلية ووسام صاحب احسن خط واحسن انشاء.. الخ. كانوا يسيرون بمسيرة ليصلوا المسرح وسط التصفيق. كانت هذه الحفلة تقام في بداية شهر حزيران.

وتذكر الطفلة انه في عام ١٩٥٩ كانت حفلة وحيدة من نوعها، حيث انها كانت برعاية سيادة وزير المعارف آنذاك.

ولازلت تتذكر كيف ان الشبان اليهود تعمهم الفرحة وقاموا بتزيين الحديقة بالاعلام والورود والاضواء الملونة. وكان الخوف من ان تهب ريح شديدة في تلك الامسية ، وما تزال تتذكر الجملة التي قالها احد هؤلاء الشبان بصوت عالي: "يا رب لا تكن رجعيا ولا تدع للريح الهبوب ويضيع كل تعبنا"

الاستعداد للاحتفالات بمرور عام على الثورة :

تروي السيدة الفاضلة"ر.ح"في مذكراتها ان العطلة الصيفية لمدرستها "فرنك عيني" تفتح ابوابها لا للدراسة وانما للاستعدادات اللازمة للاشتراك بالمهرجان الشعبي يوم ١٥ تموز ١٩٥٩. واجتمع عدد كبير من الطلاب الصغار والكبار في قاعة المدرسة وتعلموا كيف تصنع الازهار من الورق الملون. لقد قمنا بعمل الآلاف من هذه الورود لكي يزين بها الشاحنة المفتوحة التي اشتركت باسم الطائفة اليهودية في العراق في الموكب. وخيطت لهم الملابس الزاهية. لها ولزميلاتها كل حسب موقعه في الموكب، وعلموهم اداء الرقصات. بكل هذه التحضيرات اشترك الطلاب والمعلمون وكانوا فرحين جدا.

في الساعة الثامنة من صبيحة يوم ١٣ تموز ١٩٥٩جرى حدث وحيد من نوعه لأعلان أفتتاح الاحتفال بهذه المناسبة السعيدة: فقد دقت صافرات الانذار ونواقيس الكنائس وأصحاب التاكسيات دقوا ابواق السيارات، وكل فئة وطائفة اعلنت قبل الموعد كيفية مشاركتها بهذا الحدث بما يميزها عن غيرها. وما كان من جانب رئيس الطائفة الحاخام ساسون خضوري ألا وأمر بفتح ابواب الكنيس والقيام بصلاة خاصة ترتل بالمناسبات السعيدة لمدح الرب، وفي الساعة الثامنة بالضبط سمع صفير "الشوفارات" الخاصة بهم كيهود. الشوفار (Shofar) هو قرن الكبش والصفير فيه له صوت مدوي لكي يسمع في جميع الأنحاء، عليهم أن يصفرو فيه بالصلاة بمناسبة رأس السنة العبرية وبمناسبة عيد الغفران. وتعتقد الطفلة ان هذا اليوم هو الحدث فريد من نوعه في جميع انحاء العالم ، وان يدل على شيء ، يدل على مدى اندماج الطائفة اليهودية مع الشعب العراقي، بحيث اقامت وزن للأحتفال بالثورة بوزن الاعياد المقدسة، وعلى مدى فرحتها بهذه المناسبة السعيدة.ذهبت الى المدرسة مساء يوم يوم ١٤ تموز ١٩٥٩ومن المدرسة نقلوها الى جانب الكرخ حيث اجتمعت جميع المواكب المشتركة بالمهرجان. لقد كان ليل ابيض، جلست على قارعة الطريق ومرت من امامها مجموعات مختلفة من كافة ابناء الشعب، ممن يدق الطبول وممن يركب الحصن ويحمل البيارق والاعلام، وممن يغني ويصفق وممن يهلهل. ولم يغفو لها ولغيرها جفن. وفي صباح يوم ١٥ تموز ١٩٥٩ بدأت المسيرة. كان موقعها مع اربعة من البنات بنفس عمرها ببداية الموكب بفساتينهم البيضاء والحمراء يرقصون، تتوسطهم طالبة خلابة الجمال اكبر منهم عمرا. وخلفهم فتيات يرقصن مع زهور كبيرة تم صنعها في المدرسة، وخلفهم الشبان حاملي الأعلام ، وبعدها الشاحنة المزوقة وعليها ديكورات وبنات بعمرها يرتدين فساتين بيضاء ناصعة يمثلن حمامات السلام. عبروا جسر الجمهورية ووصلوا الى ساحة التحرير لكي يحيون الزعيم الاوحد. وواصلوا المسيرة في شارع الرشيد، وسط تصفيق الجماهير المحتشدة على جانبي الطريق.

المؤامرة الشنيعة لاغتيال الزعيم :

تذكر انه عام ١٩٥٩ تعلمت مصطلح جديد "مؤامرة" التي ابتغت اغتيال الزعيم ولكن بقدرة قادر نجي من وابل الرصاص الذي امطر عليه. ونام جريحا في مستشفى دار السلام للعلاج وعرضت سيارته المنقبة بالرصاص في باحة المستشفى. واخذها امها مع اخيها الصغير الى هناك في احدى الامسيات ووقفت مع الحشد الكبير الذي اجتمع في مدخل المستشفى يتطلع نحو الشرفة عسى ان يخرج الزعيم الجريح ويلوح بيده السليمة لتحية الجمهور. ولكنه لم يفعل ذلك في تلك الامسية، فرجعت على اعقابنا قبل غروب الشمس. وهنا تتذكر وتقول اننا سرنا على الجانب الايمن من الطريق التي ادت الى منطقة العلوية قرب مستشفى كمال السامرائي لكي نركب باص الامانة الذي يوصلنا للبيت. وفي الجانب الايسر للطريق كان جنديين يقودون امرأة فاقدة البصر. وكانت هذه اول مرة ترى فيها امرأة عمياء. كانت تقول بصوت عالي "أريد ان ارى الزعيم، أريد ان ارى الزعيم" ومما اتضح أن الجنود وعدوها باخذها اليه ولكنهم قادوها الى الخارج لكي يبعثوها بالباص الى بيتها. وما ان سمعت صوت باصات الامانة باقترابها من الشارع العام حتى اصابها الهيجان وصارت تصرخ وتريد ان تخلص نفسها من ايدي الجنود وتقول لهم لماذا كذبوا عليها لانها عمياء! وصارت تبكي بحرقة قلب " قلت لكم باني اريد ان ارى الزعيم" . ...

بداية النهاية والنهاية المؤلمة :

كان في دارهم الصغيرة صورة كبيرة للزعيم بملابسه العسكرية ولازالت تتذكر كيف كان يقول لها والدها: "انظروا يا أولاد، أن حياتنا كيهود هنا في العراق معلقة بهذا الحبل (الحبل المعلق بين كتف الزعيم الى تحت ابطه) فان قطع هذا الحبل (يقصد بذلك ان لاسامح الله يسقط) فسوف تنتهي حياتنا معه". لم تعرف آنذاك لماذا قال ذلك ولكن غرس فينا كأطفال الخوف من ان يقع أي شر للزعيم. تواصل ر".ح" قائلة: ولشديد الأسف حدث هذا الحدث الأليم في السنة الاخيرة لحكمه: أراد تشييد أعلى برج في العالم أعلى من برج ايفل في منطقة حيث كانت مقبرة اليهود العتيقة التي يعود عمرها الى نحو ٤٠٠ سنة، والتي دفن فيها كبار الحاخامات ورجال الدين في كل هذه الفترة الطويلة. فطلب من رئيس الطائفة الحاخام ساسون باخلاء المقبرة. أن هذا العمل محظور في الديانة اليهودية وعقاب كل من يحرك عظام الموتى ويقلق راحتهم الابدية يكون عقابه وخيم وهذا شيء معروف. فذهب وفد من اليهود الى الزعيم واوضحوا له اهمية وخطورة الموضوع، ولم يفد ذلك. قال لهم انه سيوفر لهم كل ما يتطلبون من عمال ومكائن لكي يتم الاخلاء خلال ثلاثة اشهر. وأصاب اليهود حزن شديد، فصاموا وصلوا لكي يبعدون هذه الكارثة التي قد تؤدي بحياة من أحبوه حبا شديدا. وبعثوا اليه امه بالرضاعة التي سقته من حليبها، لكي تقول له: "أسمع يا أبني أن والد اخوك بالرضاعة مدفون هناك وهذا العمل محظور تماما ونتيجته وخيمة جدا" ولم يفد ذلك ايضا. وبدأ اليهود بالعمل المشؤوم الذي انزل عليهم بأمر القائد، وهو نقل موتاهم الى المقبرة الجديدة بطريق المعسكر. وشعروا بألم وحزن.

وهكذا كان المصير المحتم لحزننا جميعا على من دللنا واحبنا كيهود واحببناه كقائد محنك وصلينا من اجله. وهكذا انتهى العصر الذهبي ليهود العراق، وتحققت نبؤة والدي بان حياتنا كيهود على ارض العراق قطعت مع انقطاع حبل ملابسه العسكرية. فبدأت أوضاعنا بالتدهور ووصلت اوجها بعد حرب الستة ايام عام ١٩٦٧. وهكذا أجبر من تبقى من اليهود أن يهاجر العراق في اول فرصة تتاح لهم.

من اوراق الراحل ناجي جواد

وكان للحرب العالمية الثانية في "السوق" حديث..!

كان الحادث الرهيب الذي هز العالم.. هو الحرب العالمية الثانية التي نشبت بين (المحور) و(الحلفاء) عام ١٩٣٩ اذ استغل (هتلر) امتعاض الشعب الالماني من معاهدة (فرساي) فراح يتذرع بالحل العسكري لاعادة المجد (الامبراطوري) لالمانيا..!

يومها تطير ابناء السوق الطيبين – كما تطير العالم اجمع – وتوقعوها حربا لاتبق ولا تذر.. حتى امسى حديث الشيوخ عن (الحرب العالمية الاولى) واعادت بهم الذاكرة الى (ايام السفر برلك) المحزنة، وما قاسوه في (الجبهة الغربية) و(الشرقية) من مصاعب ومصائب.

ومن اعجب ما شاهدت في السوق، اثر المباغتة المذهلة في الهجوم (الالماني) على (بولندة) حيث استطاعت القوات الالمانية الوصول الى مشارف (وارشو) خلال بضعة ايام.

وكانت مجريات الحرب بين المانيا الهتلرية والحلفاء واحاديث الناس وتعليقاتهم في السوق.

وقد كان العم (احمد سمينة) صاحب المطعم الشعبي بشهرته العريضة، مجاورا لمحل اخي (ابراهيم) ، تراه بعد ان ينتهي من توزيع (قدر التشريب) الصباحي، ثم توزيع التمن والمرق) على زبائنه ظهرا، عندها يضع (جفجيره) المتميز بنظافته وحجمه على الطاولة ذات الوجه اللماع من الكاشاني الملون بالازهار والاوراق والاغصان، ثم تراه يقف بطوله الفارع.

امام المرأة البراقة ليصلح (جراويته) التي تغطي فروة رأسه الشامخ ثم ينكسها قليلا الى امام، ويلامس شاربه بزهو الرجولة ويثبت حزامه الحريري العريض على وسطه باتقان، ويشمر عن اكمام (زبونه المقام) المسربل على جسمه المهيب، ويمشي بخطوات واثقة في السوق، والراس عال والصدر منتفخ، ويداه بساعديهما الطويلين يلوح بهما ذات اليمين وذات الشمال، كانه بطل مصارع نازل الى (جفرة الزورخانة) للمصارعة، حتى اذا ما وصل مقهى (فرج) تصدر اول تخت في المقهى التي تشرف على مدخل (جامع الخفافين) و(سوق الكمرك) فاذا ما القى عليه الجميع بالتحية التقليدية (الله بالخير ابو قدو) فيجيبهم بمثلها.. عندها يطلب (الناركيلة) ويسحب (القمجي)اي الحبل المطاطي، ليمتص دخانها من احشائها حيث ماؤها المترقرق، ثم ينفث دخانها بارتياح، ويبدأ بالحديث مع جلساته ممن يعرفهم او لايعرفهم – فالكل يعرف (احمد سمينة) الشهير بمطبخه البغدادي الشهي.

وكانت احاديث العم (احمد سمينة) صدى الظلم والتعسف الذي جره (وعد بلفور) على الاشقاء الفلسطينيين خاصة وعلى العرب عامة، وهو شعور ماساوي خفي في قلب كل حر عربي، وهكذا كان شعور العم (احمد سمينة) ذاك المواطن الشعبي الشريف.

والان الخص احداث تلك القضية الواقعية الماساوية التي ما زالت شخوصها محفورة في وجداني (كما ان احداثها وامثالها تتكرر على الاشقاء الفلسطينيين حتى كتابتي هذه الحروف ولكن بصورة اوسع وابشع..!

وملخصها ان ابناء السوق وانا منهم ومعهم كنا نشاهد في منتصف عام ١٩٣٦ م رجلا فارع الطول واضح القسمات، رضي

عميد الساعاتية الحاج عبد اللطيف الحاج علي الاسدي

الصفات، تدل سيماؤه على اصالة وعراقة، كان يرتدي (الشروال) الرمادي، والثوب الاسود باكمامه العريضة، وياخته العريضة التي تكاد تغطي رقيته العنوق، يحمل على راسه الذي بدا الشيب يغزو فروته السوداء، (صينية) برونزية، صفت بها (المعمولة) ويحمل على كتفه الايمن كرسيا سفريا خشبيا، يحملهما..

ويطوف الاسواق مناديا بصوت حزين (الصبر طيب) فكثيرا ما كان ينتظره الشيوخ والشباب، فكيف بنا نحن الصبيان..؟ فنراه قادما من جهة (سوق السراي) ليدخل (سوق الهرج) ثم ياتي الى سوقنا.. واذا ما فرغت الصينية او كادت، توجه الى (جامع الخفافين) ليؤدي فريضة الصلاة، ثم يذهب الى مطعم (احمد سمينة) ليتناول وجبة الغداء، وقد ادى تردده المنتظم على المطعم الى قيام تعارف وتعاطف بينهما اثمرا صداقة حميمة وعلاقة مستقيمة، ومن الطبيعي ان تلك العلاقة الودية رفعت الكلفة، فجرتهما الى الحديث – والحديث ذو شجون – فتفرع منه السؤال الاول..

س– عن هويته.

ج– فلسطيني.. وقد شردته (الفئة الباغية).

ومن الطبيعي ان يكون السؤال الثاني..

س– عن سر تسميتها (الصبر طيب)..

ج– ترمز الى ماساته في اغتصاب ارضه ثم بيته ومحله، وبعدها تشرده.. حتى لجا الى العراق العربي المضياف.. صابرا محتسبا.. وما كلمة (الصبر طيب) الا امتداد لعقيدته الاسلامية بما اوصى القرآن الكريم.. (فصبر جميل..) فهي مؤاساة له يرددها كما رددها النبي (يعقوب) يوم فقد ولده (يوسف) حتى عاد اليه ملكا مظفرا ومطهرا.

الاسطة (احمد سمينة) يرتشف الشاي مع صحبه من ابناء (سوق الكمرك)

الهلالي

ذخيرة تراثية غنية

صفحات مطوية من تاريخ العراق السياسي والتربوي.. متى تفك خيوطها وتنشر على الناس؟!

لقاء: ابراهيم القيسي
صحفي راحل

في منتصف الأربعينيات، وعلى وجه التحديد في عام ١٩٤٥ لفت نظر المثقفين والذين شغفوا أو تعودوا على اقتناء الكتب الرصينة، ومطالعة الصحف والمجلات المحلية والعربية الكبرى، اسم أهل جديد في عالم المقروءات ذات المستوى الادبي والعلمي المرموق، وبتوالي الأيام والأعوام، ازداد هذا الاسم بريقا ولمعانا حتى صار يخطف إبصار المتأدبين، ويبهر بصيرة الأدباء وينزل صدور مجالسهم وميادين تسامرهم وتذاكرهم، منزلة الإطراء والإعجاب والثناء، وصارت للاديب الكاتب (عبد الرزاق الهلالي) حصة من مناقشاتهم ومحاوراتهم، لما أثاره في الوسط الأدبي، ونثره ونشره من أفكار صائبة ومعالجات جريئة ومطالعات صريحة، تؤكد متانة القلم اليافع الذي يتحرك بين أنامله الرشيقة، ابرع مما تتحرك به وأثار العود بين اصابع الفنان المطبوع المتمكن.

قرأنه له في مجال المقال والبحث والدراسة اشياء غير مطروقة، حول اقليمية الادب، ايهما انفع للبلاد، اوقات الدراسة، ام اوقات الفراغ؟. الطربوش في التاريخ، المشكلات الاقتصادية في الشعر العامي، بلاد الاكو والماكو، العادات العشائرية وأثرها في الاقتصاد الريفي، التخيل وأثرها في الهجرة، كلام الحسجة في الفرات الأوسط، تقويم السنين والشهرة في مجرى التاريخ، ام كلثوم بين الشبيبي الكبير وابي كلثوم الوفدي، طاغور وزكي مبارك والثعالبي في بغداد (ثلاثة مقالات مستقلة).

الزهاوي والمرأة، الزهاوي في مجلسي المبعوثان العثماني والأعيان العراقي، حقائق وطرائف عن تاريخ التعليم في العراق.

وثيقة تاريخية حول سياسة العراق الداخلية بين الملك فيصل الأول وناجي السويدي (آفاق عربية) رسائل تاريخية بين الكرملي والشبيبي، والبصير والشيخ علي الشرقي، علاقة محمد كرد علي بالأدباء العراقيين ظاهرة الارتجال عند الكاظمي.. الخ.

وهناك عشرات التراجم والدراسات مما لا يتسع المجال للإشارة إليها، وقد أغناها الأستاذ الباحث طارق الخالصي عن التقصي والتفتيش والمراجعة، حين أحصى كتابات الهلالي فإذا هي تتجاوز المئتين، أصبح معظمها مرجعا موثوقا في الكليات العراقية والأجنبية!.

أما أول كتاب ظهر له، في الفترة التي اشرنا إليها فكان بعنوان (صور وأحاديث اجتماعية) وتتابعت جهوده حتى جاءت بـ(٢٤) كتابا بضمنها كتابه الأخير (الزهاوي في معاركه الفكرية والأدبية) الذي ستنتهي دار الرشيد من طبعه قريبا.

حين التقينا (بأبي علي) في داره بمنطقة نجيب باشا، على ميعاد صعب، مهدنا له بالاتصالات الهاتفية المتكاسلة التي كادت تخذلنا، وجدناه على غير الصورة البهية التي ألفناه عليها، وقد باعدت الأيام بيننا وبينه، وكنا نسمع قبل ذلك بمرضه المتطفل، الذي يضطره للذهاب بين يومين وثلث إلى مدينة الطب لغسل كليتيه.

الابتسامة، والوداعة، والأناقة، واللثغة المنغمة، كانت هي ابرز ملامح شخصية الكاتب الجاد، الأديب الشاعر عبد الرزاق الهلالي، إلا أن الأعوام والأحداث تمتلك وحدها حق اغتصاب النضارة من الوجوه السمحة الصبوحة، والحيوية من الأبدان الناشطة، وعزاؤنا إنها تتسامح معنا فلا تتعجل بإخماد جذوة الفكر، ولا تسد سبل العطاء، وتجعل القلم والقرطاس آخر ما يسقط من أيدينا!.

× قلنا للهلالي وكان يحمل بيمينه كتيبا أنيقا حسبنا أن فيه سيرة حياته، اقرأ لنا شيئا من سطوره.

قال بعد أن اطرق طويلا وعاد إلى الوراء بعيدا:

– ولدت في البصرة سنة ١٩١٦ في محلة (الخندق) وأكملت دراستي الابتدائية في مدرسة العشار، التي كانت تسمى محليا (مدرسة الدبة) ثم أكملت المتوسطة سنة ١٩٣٣، ودخلت دار المعلمين وتخرجت فيها سنة ١٩٣٦ فعينت معلما في مدرسة التهذيب في البصرة.

بعد ذلك بعام سافرت إلى بغداد للدخول في دار المعلمين العالية (فرع الاجتماع) وكان قد مر على بدء الدراسة فيها شهران، وحين قابلت العميد المرحوم عقراوي أعلمني بعدم وجود (ساغر) إلا في فرع (التربية البدنية)، فقلت: إنني ارغب في علم الاجتماع، قال: داوم في هذا الفرع وسوف ننقلك منه إذا حدث الشاغر!.

وفعلا، داومت في فرع التربية البدنية، الا ان السنة انتهت ولم يحصل الشاغر المنشود، ومن الطريف كنت الاول على طلاب الفرع وحصل مثل هذا في السنة الثانية والثالثة، وربما كان من حسن حظي ان اسقط على الارض من قفزة عالية وبالزانة، فالتوت ركبتي وتورمت ، وقالوا لابد من عملية جراحية، فرفضت، وحصلت على تقرير طبي يعفيني من الرياضة، فسارعت به للعميد (وكان المرحوم المقدادي)، ورجوته نقلي إلى فرع الاجتماع، ففكر الرجل مليا وقال: انك أديب وشاعر، ومن الصواب أن انتقلت الى فرع الآداب، وما عليك الا اقناع الاستاذين طه الراوي والدكتور البصير، فلما رويت لهما قصتي وافقا على قبولي في الصف الرابع، وكانت النتيجة ان تخرجت مع زملائي في فرع (آداب اللغة العربية بدرجة شرف).

× قطعا كان هذا غير متوقع للكثيرين، ثم ماذا جرى؟

– عينت بعد تخرجي سنة ١٩٤١ مدرسا في (دار المعلمين الريفية) في الرستمية، وبعد سنة عينت معاونا لمدير دار المعلمين الريفية في ابي غريب، وفي سنة ١٩٤٣ عينت معاونا لمدير (معهد التربية البدنية)، ثم ملاحا للتربية البدنية في وزارة المعارف ، فوكيلا للمدير فيها.

× لابد أنهم تنبهوا إلى تضلعك والتربية البدنية التي درستها على محض ثلاث سنوات، فاستعانوا بك لتدبير شؤون الرياضة والالعاب؟

– يبدوا كذلك، حيث نقلت سنة ١٩٤٦ الى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وعينت ملاحظا للنقابات، وخلال هذه الفترة دخلت كلية الحقوق المسائية وتخرجت فيها سنة ٥٠–١٩٥١ واثناء ذلك عينت (مساعد للتشريفات الملكية) عام ١٩٤٧ وتركت البلاط عام ١٩٥٤.

× كانت لكم جولة قصيرة في الإذاعة..

– أربعون ليلة بنهارها، أعيرت خدماتي بعدها الى المصرف الزراعي، الذي بقيت فيه خمسة عشر عاما، كنت في السنوات الخمس الاخيرة منها مديرا عاما له، واجلت سنة ١٩٧٠ على التقاعد، واصبت بعد سبع سنوات بمرض (عجز الكليتين) وقدر علي ان اراجع مدينة الطب مرتين في الاسبوع لتنظيف الدم بالجهاز الخاص، وكنت قد سافرت سنة ١٩٧٩ الى لندن على نفقة الدولة لسحب الماء الأبيض من عيني وفحص الكلى.

× (اذا سألتم اله فاسألوه العافية)، نسأله تعالى أن يمتعكم بالصحة، وان يخفف عنكم وطأة هذا المرض الغشوم.

–لكم شكر المطمئن العاجز.

× طاف بكم الطائر الميمون في انحاء متباعدة من العالم المعمور، فالى اين سعى؟ واين حط الرحال؟

– قمت بسفرات ورحلات عديدة خلال (٤٤) عاما من حياتي منها ما كان على الصعيد الرسمي، ومنها ما كان بدعوة خاصة، ومنها على حسابي الخاص، وهذه اهمها:

شاركت في مؤتمر بدورات الكشافى العربي سنة ١٩٣٨، وفي وفد الفتوة العراقي الى المانيا (في نفس السنة) وكنت ابعث مقالات عن مشاهداتي نشرتها جريدة الزمان، وكنت ضمن الوفد الذي شارك في المؤتمر الطبي العربي الرابع في القاهرة سنة ١٩٤٠ وكتبت ايضا مشاهداتي لنفس الجريدة.

اوفدتني وزارة المعارف الى لندن سنة ١٩٤٦ لدراسة شؤون الكشافة ونوادي الشباب، وكتبت بعد هذه الرحلة كتابي (٤٠ يوما في لندن)، وكنت قد سافرت قبل ذلك الى سوريا ولبنان موفدا مع فريق المدارس الثانوية لكرة القدم عام ١٩٤٤.

شاركت في دورة (مشاكل التنمية الاقتصادية) التي عقدت في لندن واكسفورد سنة ١٩٥٦ لمدة عشرة اسابيع، ورأست وفد المصرف الزراعي الى السودان والاردن عام ١٩٥٧، وبدعوة خاصة من الجامعة الاميركية شاركت في مؤتمر مديري المصارف الزراعية في حوض البحر الابيض المتوسط سنة ١٩٦٤ وفي عام ١٩٧٢ شاركت في حفل تأبين سامي الكيالي صاحب مجلة (الحديث) الطبية.

سافرت الى موسكو سنة ٦٧ بدعوة من اتحاد الكتاب، وقبلها في سنة ١٩٧٥، سافرت إلى المغرب بدعوة من وزارة الثقافة للمشاركة في مهرجان (ابن زيدون) وفي نفس العام غادرت إلى اسبانيا على حسابي الخاص فزرت قرطبة واشبيلية وغرناطة، ثم إلى تونس بدعوة خاصة، وألقيت هناك محاضرة بعنوان (تونس في الشعر العراقي)، وفي عام ١٨٧٦ سافرت إلى دمشق للمشاركة في مهرجان (مرور مئة عام) على ولادة مؤرخ الشام المغفور له محمد كرد علي.

× من كتبكم غير المطبوعة، هل من ذكر لبعضها؟

– كنت قد انتهيت منذ بضعة شهور من تأليف كتاب مهم جدا عن (تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني)، وكتاب آخر ربما كان أكثر أهمية من الأول بعنوان (٧ سنوات في التشريفات الملكية) من عام ٤٧ حتى عام ٥٤ إلى جانب ذلك فقد انتهيت أيضا من تحقيق مخطوط (كفاية المتحفظ وغاية المتلفظ) للفقيه ابي اسحق بن ابراهيم المعروف بابن الاجدابي من علماء القرن الخامس الهجري.

× وماذا عن المخطوطين المخطوفين؟

– في آذار ١٩٨٠ اتصل بي السيد (ف. س. ح) الذي تربطني به بعض معرفة، واخبرني بأنه يعمل الآن (مديرا عاما) لشركة نشر في الشارقة باسم (شاركوت) وأطلعني على تخويل فيه

في قصر عابدين القاهرة ١٩٤٠ د. صائب شوكت د. عبد المجيد القصاب، والهلالي في اقصى اليسار

بعض الصلاحيات، واستوضح عما لدي من كتب جاهزة للطبع، ليجعلها باكورة أعماله، وبناء على حسن نيتي، وثقتي به، سلمته كتابين هما: (نثار الفكر والقلم) و (شعراء من العراق)، ولا أريد أن اطوي هذين الكتابين وما بذلك فيهما من جهود، المهم أن الأخ وعدني أن يأتي بصيغة العقد بعقد أسبوع لتوقيعه!..

ومع الأسف مر الأسبوع، وبعده سنتان، دون ان اسمع اي شيء عن الموضوع، فان سمحتم أن أتوجه بالرجاء لمن يعرف شيئا عن هذا الأمر المريب أن يخبرني وله شكري، وثواب العلم والثقافة.

× لقد أتعبناكم...

– انا الذي اتعبتكم، والاجر على قدر المشقة، قد لا يقدر احد سعادتي الآن وانا اجد في الصحافة هذا التقدير الصادق، الذي شملتني به، فسعت الى داري تتفقدني وتطلع على آثاري الأدبية، ومسيرة حياتي، لنشرها وإيداعها ململمة في ذاكرة التاريخ، فلكم تحيتي الخالصة، ولصحيفة (العراق) الكريمة كل عرفاني بالجميل.

كتب

الهلالي باحث متتبع، في طبعه أمانة للكاتب الحريص، أولع منذ حداثته بجمع شتات المعرفة، ولم شذورها وشواردها، وتقصي الاخبار والحوادث، واحتفظ بالوثائق والتقارير والمراسلات الرسمية المهمة والخطيرة، ولذلك جاءت كتبه ومؤلفاته زاخرة بالغة بالعلم والمعرفة، مدعمة بالصورة وبالتقرير والوثيقة.

ونظرة متأملة في نتاجه الذي بلغ حتى الان (٢٤) كتابا قابلة للزيادة بعون الله، نستطيع أن نتلمس جملة المواضيع والميادين التي طرقها، ووفق في إيفائها حقها من الدقة والاستيعاب والإحاطة.

والثمر اليانع تجد به التربة الصالحة، والعرق الناضح:

صور وأحاديث اجتماعية، (٤٠) يوما في لندن، ولادة وابن زيدون، نظرات في إصلاح الريف (طبع ثلاث مرات)، معجم العراق (جزءان) مشاكل الائتمان الزراعي في العراق، الهجرة من الريف إلى المدن في العراق، دليل العراق الحديث (بالانكليزية وبالاشتراك)، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني، الريف والإصلاح الاجتماعي في العراق، الزهاوي بين الثورة والسكون، تعمير القرية في العراق، الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي، ادباء المؤتمر، المجتمع الريفي العربي والاصلاح الزراعي، ، قصة الارض والفلاح والاصلاح الزراعي في الوطن العربي، زكي مبارك في العراق، دراسات وتراجم عراقية، مختارات الزهاوي، تاريخ التعليم في عهد الاحتلال البريطاني، ولادة واثرها في حياة ابن زيدون، الزهاوي الشاعر الفيلسوف والكاتب المفكر، الزهاوي في معاركه الفكرة والأدبية (قيد الطبع).

هل كان مدحت باشا.. شاعرا؟!

درس مدحت الفتى، القرآن الكريم، وتعلم مبادئ العلوم العربية، وصار يحسن كتابة الخط الديواني.

شغل منصب (رئيس مجلس شورى الدولة) وسعى لتطوير القوانين.

وصل بغداد واليا مصلحا سنة ١٨٦٩ ، ولم تدم ولايته عليها اكثر من ثلاث سنوات وواحد وعشرين يوما.

مما ذكره العلامة المرحوم محمد رضا الشبيبي في بحثه المنشور بجريدة العرب التي كانت تصدر في بغداد سنة ١٩١٨.

واشتهر لمدحت باشا عند أدباء العراق (بيتان) صارا مطرحين بينهم وقد ذهبوا في تخميسهما وتشطيرهما كل مذهب! وهما:

اما والقنا والمرهفات البواتر
فلا ترى ابقيت لي عند واثر
ايذهب خصم في دمي لي مضيع
ولست اذيق الخسم طعم البواتر؟

عن كتاب الهلالي
دراسات وتراجم عراقية

رأي المحرر: لا تطاوعنا القناعة ان ننسب هذين البيتين من الشعر العامر، لرجل مثل مدحت باشا، الذي لم يؤثر عنه غيرهما، وقد يكون تمثل بهما في امر عارض امام جلساته، وفي غمرة استحسانهم ومجاملاتهم ، سكت الوالي وأضاع لحقيقة! والله اعلم.

مداعبات شعرية مع الشيخ الحنفي والازدي والبراك

الشاعر الذي لا يعترف بشاعريته هو الشاعر المقل عبد الرزاق الهلالي، فهو شاعر يرسل الشعر، ولكن ليس جزافا كيفما طرأ، وهو قد ينتشي بسحر قوافيه، وحسان عروضه، إلا انه لا يتكسب بضرائره ويتحاشى الاقتراب من بحوره المغرقة المائجة، فطالما نبض وجدانه بالنشيد، وهتف إحساسه بالقصيد، فكانت أشعارا بديعة السبك، حسنة المنبت، شجية الرنين، وهذه نماذج من (اخوانياته) بقدر ما يتسع لها المقام:

١. في وداع الحنفي في شتاء ١٩٧٥ أقام الدكتور عبد المجيد القصاب دعوة لوداع الأخ الشيخ جلال الحنفي بمناسبة سفره الى الصين، وفي ذلك الحفل ألقى شاعرنا قصيدة طويلة نجتزئ منها ما يلي:

بك تحلو مجالس الاصباب
ايها الشيخ في الليالي العذاب
يا (جلالا) يا من به تتغنى
صفحة الفضل في دنى الآداب
قد عرفناك كاتبا المعيا
بز أنداده من الكتاب
وعرفناك شاعرا لك في الشعر
مقام قد حف بالإعجاب
وعرفناك باحا تتحدى
عن أصول التراث رغم الصعاب
فكلام العوام الفت فيه
معجما رائدا حليف الصواب
وعرفناك في المقام خيارا
لك بين القراء فصل الخطاب
كل هذي الصفات فيك تجلت
كيف تخفى على ذوي الألباب؟

٢. ثرثرة واثق

قال بعد ان فرغ من كتاب (ثرثرة واثق) الذي اهدى اليه نسخة منه صديقه ابو جعفر (صادق الازدي):

أهديتني (ثرثرة)
فيها الحجي والمنطق
فازداد فيها عجبي
وكدت فيها اغرق
كم حكمة أرسلتها
فيها الضياء المشرق
وكم عرضت فكرة
فيها النهى يأتلق
فقلت ما أروعها
ثرثرة يا واثق؟

٣. الأيام والبلد

في عام ١٨٦٣ أعادت الحكومة النظر في امتيازات الصحف، وقد توقفت نتيجة هذا النظر جريدة الاستاذ عبد القادر البراك (الايام) ومن بعدها (البلد) فانتصر له صديقه الهلالي بقصيدة أثلجت صدره، جاء فيها:

هكذا قد قضى ربيع الشباب
هكذا فض مجمع الأحباب
هكذا كالأيام تمشي سراع
ثم تطوي صحيفة الآداب
(بلد) طيب رعى الحق دوما
وسعى جاهدا لنيل الطلاب
يا ابا صالح أهذا بيان
بك ينأى عنا بغير إياب؟
أم ستقوى على الشروط فترجو
لك عودا موطد الأسباب
كي تعيد (الأيام) وهي سجل
ضم في صفحتيه لب اللباب

مستشفياتنا في العشرينات

د. كمال السامرائي
طبيب عراقي رائد

(كمال السامرائي ، طبيب متخصص، وباحث ومؤرخ، وتراثي من طراز متقدم، وخبير في المجمع العلمي العراقي، يملا كرسيه هناك بجدارة واهلية عالية.

صدر له قبل بضعة شهور الجزء الاول من كتابه الكبير (مختصر تاريخ الطب العربي)، وهو وان كان يحمل كلمة – الاختصار – الا انه موسوعة فريدة من نوعها في تاريخ الطب العراقي القديم، والطب العربي على مدى عصور الحضارة العربية، سيظهر نصفها الثاني المتمم قريبا.

عدا هذا الجهد العريض، وهو يتخطى عتبة عقده السابع في حيوية وعافية، فانه يعكف على توسيع كتيبه الصغير (الامراض النسوية في التاريخ القديم واخبارها في العراق الحديث) الذي صدر عام ١٩٨١ ليكون في متناول المواطنين مرجعا سهلا ميسرا ميسورا، وقد خص صفحتنا بهذا الفصل الممتع من ذلك الكتيب).

في بداية الحكم الملكي بالعراق، استحدث الدكتور ابراهام بمستشفى الغرباء، جناحا خاصا بتبرعات الاهلين، لحالات ولادات الطبقة الغنية باجر يومي قدره عشر (روبيات) وبذلك صار في المستشفى ثلاثة وتسعون سريرا على التنوع التالي:

١- ردهة مجانية للولادات.
٢- ردهة مجانية للجراحة النسائية.
٣- ردهة مجانية للاطفال.
٤- غرفتان للولادات (باجور)
٥- غرفتان للاطفال (باجور)

وانضم الى المستشفى اطباء من اصل تركي كمساعدين للدكتور ابراهام، كان منهم (كورديان) الارمني، وساموئيل (اليهودي) وفتح الله (المارديني).

والدكتور ابراهام اول من اجرى عملية التوليد (بالملقط) والعملية (القيصرية) في العراق وعند دخول القوات البريطانية الى العراق، كانت للقوات التركية مستشفى في ابنية (المجيدية)، فلما انسحبت هذه القوات من العراق، احتل الانكليز الابنية المذكورة ، واسسوا فيها مستشفى عسكري لقواتهم باسم – المستشفى البريطاني رقم ٢٣ – ، كما اسس الانكليز مستشفى اخر للقوات العسكرية الهندية باسم (المستشفى العسكري رقم ٦٢) في موقع كلية الهندسة اليوم، وكان يرأس هذه المستشفى الدكتور (دنلوب)، الذي صار بعدئذ استاذ فن العلاج بكلية الطب العراقية، وحول هذا المستشفى بعدئذ الى مستشفى لأهالي بغداد باسم – المستشفى العام الجديد – واستقدمت له هيئة انكليزية متكاملة، كان منها الدكتور (كولبير) طبيب مستشفى (كايز) الشهيرة في لندن، ومؤلف كتاب (الطب الباطني) الذي يعرفه كل من تخرج في كلية طب بغداد.

ومنهم ايضا الجراح (كامبل ماكي)، وطبيب العيون (سبنس) الذي صار بعدئذ استاذ هذا الموضوع في كلية طب بغداد، والدكتور (نورمان) الذي صار استاذ الاشعة في كلية طب بغداد ايضا.

ثم التحق بهذه المجموعة الدكتور صائب شوكت قبل ان يتخرج في مدرسة حيدر باشا الطبية باستانبول، وكان الدكتور صائب يمارس الجراحة، كما كان يعالج بعض حالات التوليد والامراض النسائية، ولم يتفرغ للجراحة العامة وحدها الا بعد افتتاح كلية الطب سنة ١٩٢٧.

في سنة ١٩٢٣ رات الحكومة ان توحد مستشفيات بغداد، فاغلقت ابواب (المستشفى العام الجديد) كما اغلقت مستشفى الغرباء للولادة، ونقلت مرضى المستشفيين وكادرهما الفني والاداري الى مستشفى المجيدية، باسم (المستشفى الملكي) الذي كان يشغله مرضى القوات العسكرية البريطانية، ونقل هؤلاء المرضى الى مستشفى معسكر (الهنيدي) الواقع جنوبي بغداد، وحولت عمارة مستشفى الغرباء الى ديوان للمجلس التاسيسي، ثم صارت دارا للمعلمين ثم اعيدت الى مستشفى باسم (مستشفى الكرخ الملكي) الذي بقي قائما حتى سنة ١٩٥٦.

ان اخبار المستشفيات التي ذكرناها، تاريخ لايصح عزله عن تاريخ الامراض النسائية والولادية في العراق الحديث، اذ بالاضافة الى ترابط تلك المستشفيات بمستشفى الغرباء (الذي كان للامراض النسائية والولادية حصرا). وتبادلالمواقع فيما بينهما، فان المستشفيات الاخرى من البديهي ان تستقبل بين وقت واخر بعض الحالات المرضية والولادية المستعجلة، ولذلك ذكرناها بايجاز.

وقبل افتتاح الكلية الطبية ببغداد في تشرين ١٩٢٧، اوفدت الحكومة العراقية كلا من المرحوم هاشم الوتري، والمرحوم توفيق رشدي والدكتور صائب شوكت – متعنا الله بطول بقائه – ليشاهدوا اساليب التعليم السريري في جامعات بريطانيا، ويتاهلوا لتبوء كراسي التدريس في الامراض الباطنية والجراحية والنسائية في كلية الطب بعد افتتاحها، فكان المفروض بهذا التنظيم ان يرجع الدكتور توفيق رشدي استاذا للامراض النسائية والتوليد، الا ان هذا الرجل الطيب القلب، حين قرأ في استمارة الانتماء الى الدورة التدريسية في كلية الطب بجامعة لندن، فقرة استفهام عن (لون) طالب الانتماء للدورة، عضب لوجود التفرقة بين الوان البشر، ومزق الاستمارة، وقفل راجعا الى اول باخرة تغادر بريطانيا الى بيروت.

عن كتاب في الثمانينات

من ذكريات خالص عزمي

قابلت تيتو وعبد الناصر والبرخت وديجول وخاطبتهم بلهجة عراقية صميمة!

(... ساعة باب المعظم تقترب من الساعة الواحدة بعد الظهر، والحشد الهائل من الجماهير الثائرة ما زال يتدفق، يحتل مكانه في قلب الساحة، وعلى شرفات (مصلحة نقل الركاب) و(قاعة الشعب) والمقاهي التي كانت تحيط بمطقة باب المعظم، والوثبة الشعبية الباسلة تدق اجراسها الضخمة بشكل متواصل لتهز الحكم من تحت الطغاة، ولترتفع بمواكب الكفاح المستبسل الى المزيد من التضحيات والشهداء.

في تلك الساعة من ايام الوثبة المجيدة من عام ١٩٤٨ وكنا نتقدم نحو ذلك التجمع الوطني الثائر، رأيت شابا نحيلا محمولا على اعناق الشباب تحت الساعة التاريخية هناك تبرز منه بوضوح سبابته المرتكزة بصلابة على تجمع اصابعه الاخرى ، تتلوى وتدور حول نفسها، ثم تستقر لتنهض من جديد.

كان يبدو ان ذلك الشاب يخطب، اول الامر، إلا انني ادركت بانه يلقي شيئا من الشعر حينما صرخت الحناجر باعلى صوبا: "اعد.. اعد، هنا تبدد كل شيء غامض واصبحت الصورة اكثر وضوحا كلما اقتربنا نحو قاعدة الساعة، عرفت انذاك من المرحوم الشاعر الوطني محمود الحبوبي، ان الشاب المحمول هو لشاعر الذي قرانا له كثيرا، بدر شاكر السياب، هذه اللوحة ذات الاطار الثوري الدفاق والاخلاص لمتطلعات الشعب ومطامحه، ما زالت هي المنطلق الواقعي لمعرفتي بالسياب، والتي لم يكن لها ان تبدأ الا عام ١٩٥٢ في لقاء شعري لاينسى..).

وعندما ينتهي اي واحد من طالعة هذا المقطع الذي استهل به الاستاذ الاديب خالص عزمي كتيبه الموسوم (صفحات مطوية من ادب السياب) المطبوع عام ١٩٧١ لابدان يسائله:

× هل انت (سيابي)؟

وهذا ما وقع لنا فعلا معه، فقد سألناه ونحن نحاوره في قضايا الفكر والادب والشعر والتراث (ووجدنا ذلك الكتيب في صدر مكتبته) فاجاب:

– السياب قبل ان يكون صديقي، ظاهرة شعرية فريدة من نوعها، قد لا تتكرر، لمعت كشهاب خاطف في افقنا الادبي، في ظروف غير اعتيادية، ومر سريعا وتلاشى، إلا ان اثاره الادبية – التي تربو على العشرة – ستظل نبراسا لايدركه الانطفاء ولا الاختفاء، وشأني شأن غيري فانا احتفظ بدواوينه وكتبه، والاحق ما ينشر عنه هنا وهناك، والسياب دخل مدارسنا كمادة تدرس بشكل محدود ضمن ادباء وشعراء العراق والعرب الكبار.

× بم يمكن تلخيص طريقة السياب الشعرية التي ابتدعها؟

– لقد توضحت حقيقة هذا الشاعر، والتي كات مجهولة للكثيرين، وانا احدهم، في الامسية الشعرية التي اقامتها مجلتنا (الاسبوع) في ٢١-١٠-١٩٥٢و التي شاركه فيها الشاعر عبد القادر رشيد الناصري وصالح الطعمة:

لقد حدد السياب موقفه من القضايا الشعرية التي كانت موضع مناقشة ادباء الطليعة في الخمسينات – وما تزال – فهو يرى ان لابد للشاعر من خيال يجوب الافاق، ويستلهم الصور الحسية او المرئية، ويطوف عوالم النفس الانسانية، لكي يعطي الشعر الوانا جديدة، ولابد من دراسة الشعر القديم، الى جانب الحديث، العربي والاجنبي، للافادة من ثروته اللغوية ومعانيه المبتكرة واخيلته واوزانه ونبذ ما لايتلاءم وروح العصر.

وبالنسبة للاوزان الشعرية فان السياب كان يؤمن بان لابد من وجود وزن في الشعر، واعتبر تجاهل الوزن واهماله كليا امتهانا لوظيفة الشعر واسلوبه، وخروجا على ابرز مميزاته، ومبدؤه في الشعر الحر هو عبور التعقيد الى التبسيط بهدف ايضاح الفكرة، اي ان الشاعر حين يتحرر من القافية الواحدة، والوزن الواحد انما يبقي ايصال فكرته الى الجماهير بيسر ووضوح، وعلى هذا فان الشعر الحر – بنظرة – وسيلة تسهل مهمة الشاعر.

× وانت .. ماذا تقول في هذه الظاهرة؟

– المهم في الشعر، حسن الصياغة، وضوح القصد جزالة العبارة وموسيقيتها، والنفوس الشاعرة بطبيعتها تنفر من الغموض، ومن التعقيد والكلام السقيم السخيف الذي يخرج على المنطق والمألوف، ولا تأنس الا للمعنى البديع الرفيع.

ان الحديث مع الاديب المحامي خالص عزمي يتسم بالطلاوة والحلاوة، ويحفل بالصور والحكايات الثرية بالمعاني العميقة، ويتخذ له جوانب متعددة، ذلك ان مواهبه وطاقاته الفكرية تجعل من حديث التراث والذكريات والادب والشعر وافنون، خصبا وطريفا، لانه لم يترك بابا من تلك الابواب الا وطرقه بكل صدق مع نفسه وشغفه بكل الوان المعرفة والثقافة، فهو جزل الاسلوب، مشرق الديباجة، بارع في المقالة والترجمة والنقد والشعر، وهو كاتب صحافة من طراز متفرد تحرك قلمه في صحفنا العراقية والعربية، وله اصدارات مهمة كمجلة الاسبوع والميزان و(بغداد نيوز) و(بغداد اوبزرفر) علاوة على مشاريعه القانونية وارائه الفقهية، وصوته المسموع في المؤتمرات الادبية، ومشاريعه الاذاعية والتلفزيونية التي قدمها.

× قلنا له ونحن نتطلع الى مكتبته العامرة التي تحيط بها الصور ولوحات الفنانين: كيف كانت بداية الاشواط الاولى؟

– فتحت عيني على مكتبة ضخمة اخرى غير هذه تضم مجموعة من كتب التاريخ والسير والمخططات ودواوين الشعر، لها ركن واسع في بيتنا في الكرخ محلة (جامع عطا)، جمع فيها المرحوم والدي، النوادر من عيون وامهات الكتب الاساسية، كانت هذه المكتبة وصوته العذب وهو يترنم بالشعر، او يقرأ فصلا من كتاب، هي البوادر الاولى التي حركت في نفسي حب الادب، ومن ثم ادركتني حرفته، كان لاساتذتي الاوائل فضل توجيهي وتعليمي وهم والدي والاساتذة محمد ناجي القشطيني وعارف الوسواسي ومحمد الفتيان (في الكرخ) وحمدي علي (في كربلاء) ونونن الشباب (في الموصل) الذي شجعني ايضا على الكتابة في الصحف، ثم الاستاذ حسين علي الاعظمي (في كلية الحقوق).

× قبل اشهر قليلة راجع ادارة جريدة العراق من طلب اعدادا قيدمة منها كانت قد نشرت دراسة عن المرحوم عبد القادر رشيد الناصري، وقال انه بصدد اداد رسالة للماجستير عن هذا الشاعر الذي رحل هو الاخر عنا كالسياب مبكرا، وكان يلقب (بودلير العراق) فهل لديكم ما يلقي ضوءا على هذه المحاولة المحدودة؟

– انها فعلا محاولة جريئة ومحمودة، الا ان تفصيلاتها لم تكتمل لدي بعد..

× كيف بدأت تجربتكم الصحفية؟

– ظهر لي (اول مقالة) بعنوان (مولد النور) عن الرسول الاعظم محمد (ص) في الصحيفة الجدارية لمتوسط كربلاء، اما اول مقال في صحيفة محلية فكان في جريدة (النفير)، ويومها كنت في الاعدادية وعنوانها (قشور ولباب)، ثم تبعتها مقالات وتعليقات وردود وبغض القصائد الشعرية،

محلة (جامع عطا)

جاء اسم محلة (جامع عطا) في الكرخ القديمة نسبة الى الجامع الشهير القائم على الجانب الايسر منها، ويذكر صاحب (لب الالباب) في الجزء الثاني: ان صاحب الجامع من ذوي الثراء واوقف عليه واقافا كثيرة، ومن ابنائه العلامة المرحوم يوسف العطا المحدث الشهير ومفتي بغداد الاسبق.

بحد المحلة من الشرق، محلة جامع الشيخ صندل، ومن الغرب محلة الست نفيسة، ومن الشمال محلة السوق الجديد، ومن الجنوب محلة المشاهدة، واكثر سكانها من التجار والكسبة وذوي الحرف والموظفين الصغار، وبعضهم ممن يعد من كبارهم على ايامهم، منهم المرحوم السيد هاشم العلوي شقيق المرحوم الصحفي السيد قاسم العلوي، والمرحوم عبد اللطيف المدلل الذي شغل منصب امين العاصمة في الثلاثينيات، ومنهم المرحوم الحاج عبد اللطيف العلوي عم المرحومين قاسم وهاشم ومدير الميتم الاسلامي، وكان بيته مقابل الجامع، ومن العوائل التي سكنت هذه المحلة، ال السويدي وال المدلل وال القشطيني وال الفارس الجبوري، اضافة الى عوائل كثيرة من ابناء العربية السعودية، وبعض البيوتات من قضاء عنه، وكان احد ازقتها خاصا بالعانين يقع في شمال المحلة، منهم اسرة المرحوم خليل عزمي.

اشتهرت المحلة بكثرة المقاهي اشهرها مقهى (عكيل) ومقهى النجفي ومقهى ياسين ومقه الكيتاوي الخاصة بهواة الطيور.

وجامع عطا متوسط المساحة، تقام فيه الاوقات الخمسة وصلاة العبدين، واشتهر منها خطباء الجمعة فيه المرحوم الشيخ عبد القادر الامام والشيخ السيد عيسى السامرائي والمرحوم الشيح عبد الوهاب الخضار الذي اشتهر بالخطب وعين في العهد العثماني مفتيا في كربلاء وسكن هناك، ومن لاحياء الشيخ جلال الحنفي الذي كان خطيبا للجمعة فيه عام ١٩٤١ – امد الله في عمره-

محمود العيطة

* السياب يدخل مدارسنا من جديد ويستقبله الدارسون بالحفاوة!

في الصحف والمجلات العراقية الاخرى وبمرور الايام ونضوج التجربة، صرت اكتب في معظم الدوريات المحلية والعربية وفي جميع الوان الادب والفنون.

× وفي المجال القانوني، ما هي ابرز اسهاماتكم؟

– اسهمت في المجال القانوني سواء في العمل الوظيفي، او في المؤتمرات القانونية والاجتماعات المهنية داخل القطر وخارجه، في ركني التشريع والفقه القانوني وملفات وزارة الثقافة والاعلام، ومجلس شورى الدولة فيها الكثير من تلك الاعمال.

× منها ؟

– مثلا: مشروع قانون نقابة المعلمين ، ومشروع قانون ممارسة العمل الصحفي، ومشروع قانون مكافحة الامية، ونظام وزارة الاعلام، ونظام رياض الاطفال.. الخ.. واخر الاعمال القانونية هو اسهامي في لجنة تقييم القوانين العقابية المنبثقة عن نقابة المحامين.

× وماذا عن المؤتمرات والمهرجانات الادبية؟

– اول مؤتمر شاركت فيه هو مؤتمر المحامين العرب عام ١٩٥٦، والذي لم يستطيع اغلب المحامين العراقيين من حضوره انذاك بسبب منع السلطات لهم، وكان من حسن حظي اني كنت في لبنان، فشخصت من هناك الى القاهرة وحضرت المؤتمر والقى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر خطابا مهما عند افتتاحه.

ومن المهرجانات الادبية، مهرجان المربد وابي تمام والواسطي والسياب والفراهيدي ومؤتمر الوثائقيين العرب واول مؤتمر للتشكيليين العرب في بغداد ومؤتمر ابي الطيب المتنبي، ومهرجان الشعر في الكوفة.. ومهرجان الشعر التاسع في بغداد، واغلب اخواني الادباء والشعراء على امتداد الوطن العربي يذكرون الجهود المتواضعة التي كنت ابذلها من اجل انجاح تلك المؤتمرات.

× كانت لكم لقاءات مع شخصيات عالمية عربية واجنبية!

– نعم، اتيحت لي فرص عديدة للالتقاء بشخصيات سياسية وقيادية على مستوى رؤساء دول ، وكانت انتهز هذه الفرص فاعرب عما في نفسي عن بلادي امام هؤلاء وكان غيري يحجم او يتردد او يجامل في يذكر وطنه بشيء في تلك المناسبات المتاحة، فمن الرؤساء الذين قابلتهم: الرئيس عبد الناصر، ديجول، والبرخت وتيتو.

× ومن الشخصيات الادبية؟

– كلهم تقريبا، وكانت لي مواقف معروفة ومناقشات طويلة مع كل اديب عربي التقيت به، منهم على سبيل المثال: ميخائيل نعيمة، توفيق الحكيم، نجيب محفوظ الاخطل الصغير، بدوي الجبل، غادة السمان، امين نخلة البير اديب، نزار قباني، وغيرهم.

× ماذا افدتم من زياراتكم لبعض الاقطار العربية والبلدان الاجنبية؟

– كنت احرص ان انقل الصور الحسنة عن العراق لكل قطر او بلد ازوره على النطاق الرسمي او الشخصي، وكنت ابحث في كل مدينة ازورها عن ثلاثة معالم اساسية المتحف الوطني للاثار او الفنون، المكتبة العامة، المسرح وكنت ادون ملاحظاتي عما ارى والمس واكتشف، واحتفظ بجميع البرامج والصور والمطبوعات والشرائح التي احصل عليها، وفي مكتبتي الان اكثر من (٢٥٠) برنامج لمسرحيات عالمية شاهدتها، والاف الصور لمعالم زرتها.

× ما هي اشهر المسارح التي زرتها في الخارج؟

– زرت مسرح (سترادفور او ايفن) في لندن وشاهدت (ماكبث) لشكسبير من تقديم الفنان العظيم لورنس اوليفييه وشاهدت مسرحية (الاسود) لجان جينيه على مسرح (رويال كورت) و(سيدتي الجميلة) من تقديم ريكس هاريسون، ومسرحيات كثيرة اخرى، وفي القاهرة شاهدت جميع مسرحيات الفنانين الراحلين يوسف وهبي والريحاني، وكذلك مسرحيات نعمان عاشور، وحين حضرت فرقة رمسيس الى بغداد، شاهدت جميع المسرحيات التي قدمتها: راسبوتين، المائدة الخضراء، كرسي الاعتراف ، وغيرها.

× انتاجكم الادبي عموما، كيف تقيمونه.

– التقييم يترك للقراء، فهم المرحلة النهائية المتممة لكل عمل ادبي، ولولاهم لما كان هناك ادب ولا شعر ولا قصة ولامقال.. اما اقرب اعمالي الى نفسي فهي.

– فيالفكر الفلسفي التحليلي: هندسة الفكر العربية نشرت في مجلة البناء الحضاري، وفي البرامج التلفزيونية (نوابغ الفكر في العراق) الذي قدمنا من خلاله بشكل تمثيلي مبتكر، شخصيات عراقية مرموقة في محيطنا السياسي والاجتماعي والادبي امثال: فهمي المدرس، ابراهيم صالح شكر، الرصافي، الزهاوي، باقر الشبيبي، الملا عبود الكرخي، احمد عزة الاعظمي، وغيرهم، وكنت ابذل جهودا استثنائية – كما يقولون – عند اعداد وتقديم كل حلقة من حلقات ذلك البرنامج.

وفي النقد الادبي: الاب العراقي – نشر في مجلة العالم العربي القاهرية – ولنا الكثير الكثير في نقد الشعر والترجمة والعلوم الحديثة والصحافة والاعلام والمقابلات والمشاهدات، والكلام يتشعب ويطول، وخيره ما قل ودل.

× الان نسمع شيئا من شعرك؟!

– اذا كان لابد مما ليس منه بد (كما يقولون ايضا) فهذا مقطع من قصيدة (العودة الجميلة).

كم تاهلت في زمان تقضي
كان اصباحه ابتسامة زهر
جاء مخضله وريقا نديا
باسم الثغر ناشرا ضوع عطر
هو نضح الربيع ضمخ جنبيه
شباب الرؤى بافنان سحر
زفه الهائمون انفاس عهد
هو والحادثات ايام عمري
ياصداها – يرن انا عويلا
او ضحوكا في قلب كا مسر
اما اخر نتاجي، فقصيدة احاول ان استعيد بها بعض قدراتي الشعرية التي غطت عليها الحياة اليومية، وهي عن ابن عمي الشهيد محمد علي الكبيسي، اقول في مطلعها:

غسلت منارة العباس امس
باشرف ساجم ورهيف حسي
وطفت مقبلا باب العطايا
اريح النفس من هم وياسي
واجمع ما تناثر من فؤادي
واحصد بيدري من بعد غرسي
واطبقت الجفون على عيون
ورحت بغفوة منزوع قوس
فهل خياله عتبا رقيقا؟
سهيد البأس لايبكي بعرس؟
فشدوا العزم فالايمان اقوى
واني والفدا انوار شمسي

× بمناسبة الشعر، بماذا توحي به اليك هذه الابيات؟

ايها الفيلسوف قد عشت مضنى
مثل ميت، وحدث بالموت حيا

– هل هو امتحان، ام ماذا؟

× اختبار لقوة الحافظة حسب!

– المخاطب هنا قطعا ليس المعري.. (وراح يفكر ويشحذ الذاكرة).

× نزيدك مها:

ما حياة العظيم الا خلودا
بعد موت بكون للجسم طيا
سوف يبقى على الورى لك ذكر
ناطق بالبقاء لم يخش شيا

– حسبك.. هذه الابيات للرصافي، يرصي بها خصمه الحميم الزهاوي، ويزيد عليها (وراح يقرأ ببطء وتلكؤ):

انت هرد في الفضل حيا وميتا
حزت في الحالتين قدرا عليا
سوف ابكي عليك شجوا واني
بك قد كنت في الحياة شجيا

× لقد وفقت – وتقولها باعجاب – انت وذاكرتك في الاختبار.

– رحم الله شاعرينا العظيمين، جمعتهما صداقة متينة عمادها الشعر ومجلس المبعوثان، ثم دب خلاف بينهما، روجه الساعون بالتميمة، تصور: عاد مرة الرصافي الى بغداد، فانشد الزهاوي مرحبا به في حفل كبير:

ارى فلقا يمحو الدجى ثم لا ادري
امطلع فجر ذاك ام مطلع الشعر؟

وبعكس هذا: قال الرصافي في الزهاوي حين عاد من القاهرة، في حفل ترحيبي ايضا:

ارى بغداد من بعد اغبرار
زهت بقدوم شاعرها الزهاوي

فهل يتوقع احد بعد هذا التالف والتحابب، ان ينشب خلاف بين شاعرين لكل واحد منهما دولة وصولة؟ وقد استطاع المرحوم محمود صبحي الدفتري بعد مفاوضات طويلة من احلال الصلح بينهما في حفل كبير اقامه بداره عام ١٩٢٨، الا ان النفوس – على ما بدا – بقيت منطوية على بقية من (زعل)!

× اخيرا.. ماذا تقول في التراث؟

– امة بلا تراث لا تستطيع ان تتبين طريق نهضتها وتقدمها، التراث هوية ووثيقة وشهادة اثبات، وتراثنا العربي الاسلامي، الفكري والحضاري ضخم ويملأ ربوع الدنيا، المكتوب منه والشاخص، يحمل روح التجدد والتحدي ويؤكد اصالة امتنا وعظمتها واقتدارها، فرغم الكوارث التي تعرضت لها عبر عصورها الماضية، فان ها التراث بقي حيا شامخا، يلهم الاجيال تلو الاجيال، العزم والاباء والقوة والمضاء، وهو اليوم يدفعنا لنعيد باصرار بناء مجد امتنا الخالدة، وما هذه الحرب المفروضة علينا من اوشال الاكاسرة الحمقى، الا مثل لحقد دفين لاعداء الحضارة العربية الاسلامية التي يقف لها التاريخ بكل اجلال وتعظيم.

من البطاقة الشخصية

× والدي المرحوم خليل عزمي والرافدين ونوط الشجاعة، كان اديبا وشاعرا ومفكرا واستاذا للغة العربية، وكان سكرتيرا لثورة العشرين والقى قصيدته المشهورة حينما رفع اول علم عراقي لحكومة الثوار وخاطبه في الاجتماع الحاشد في كربلاء قائلا:

بشراك يا كربلا قومي انظري العلما
على ربوعك خفاقا ومبتسما
وكفكفي دمعك الهطال ابتهجي
فان بنو بني قحطان قد حكما

الخ... الخ...

× اما مؤلفاته فهي:

١. دلال (قصة) ١٩٢٨.
٢. الله والروح – ١٩٤١.
٣. تاريخ بني اسرائيل القديم – ١٩٤٧.
٤. السراج الوهاج في اعجاز القرآن – ١٩٥٢.

توفى الى رحمة الله عام ١٩٥٦

× خالص خليل عزمي بن الحاج محمد الابراهيم.

× مواليد بغداد – الكرخ محلة (جامع عطا) عام ١٩٣٠.

× ليسانس قانون.. دبلوم صحافة.. دراسات عليا في جامعة لندن (كنجز كولج) للدبلوم العالي في القانون.. دورات في دراسة اللغات الالمانية والانكليزية.

× اشغل وظائف عديدة اخرها مدير عام في وزارة الاعلام ثم مدون قانوني في وزارة العدل، يمارس حاليا المحاماة.

× هوايته مراجعة الابحاث القانونية والدراسات الفقهية الحديثة والادب والشعر والصحافة والموسيقى والمسرح.

× متزوج وله ابنتان: شيرين في قسم الوثائق معهد الادارة، ياسمين في اعدادية التجارة.

رحلة في ذاكرة الأمانة

عزرائيل يتجول في الباصات وبيوت السواق والجباة

تحقيق جمعة رشيد

في عام ١٨٨٩ – ١٨٩٠ ظهر نوع من العربات الخشبية يجره زوج من الخيول، وقد خصصت لنقل الركاب بين بغداد و الأعظمية.. بقيت هذه العربات واسطة النقل الوحيدة في بغداد اضافة الى الدواب، ولم ير سكان بغداد الباصات الا بداية الثلاثينيات، وكانت ابدان هذه الباصات مصنوعة محليا من الخشب، وقد اخذت الاعداد تتزايد يوما بعد يوم، مع تطور حركة العمران التي شملت بعض الضواحي المحيطة ببغداد.

ومن الطريف ان احدهم قام بصناعة باص خشبي ذي طابقين سيره في شوارع بغداد فجأة مما اثار دهشة الناس واستغرابهم.

الا ان هذه الباصات جميعا لم تنجح، وذلك لخطورتها وحشر المسافرين فيها حشرا يفوق استيعابها، والغاية من ذلك تحقيق الربح فقط، ونتيجة للحاجة الملحة لسكان بغداد إلى وسائط نقل تنقلهم إلى أماكن عملهم جعل الحكومة آنذاك تسعى الى توفير وسائط النقل للأهالي.

باص الأمانة

تشكلت مصلحة نقل الركاب عام ١٩٣٨ لادارة نقل الركاب في العاصمة بواسطة السيارات، والفت اول لجنة لادارتها، ولكنها لم تعهد اي اجتماع لها حتى تاريخ ٤ حزيران ١٩٤٠، وتقرر في تشرين الاول عقد اتفاقية مع احدى الشركات الانكليزية لشراء مئة باص، لكن ونتيجة لظروف الحرب العالية الثانية، الغيت الاتفاقية في عام ١٩٤٢.

وبذلك جمدت اعمال المصلحة وتاخر تنفيذ المشروع.

وبعد تجميدها نقلت اعمالها الى امانة العاصمة، وتاسست شعبة تتولى مهمة نقل الركاب في العاصمة وقد اشترت الشعبة هذه بعض مخلفات الجيش البريطاني في العراق من اللوريات وركبت لها ابدان خشبية وستعملتها لنقل الركاب. ومنذ ذلك الحين والناس يدعون باصات المصلحة "الامانة" بسبب تبعيتها لامانة العاصمة ومازال الناس يدعونها "الامانة" الى يومهم هذا.

شارع الرشيد والرقم 2

في عام ١٩٤٣ سيرت امانة العاصمة ٢١ باصا خشبيا في شارع الرشيد واعطى هذا الشارع رقم (٢) وكان هذا الخط منقسما الى ثلاثة مناطق، تبدأ الأولى من باب المعظم وتنتهي في سينما الحمراء سابقا والتي كان موقفها في ساحة الأمين حاليا – وتبدأ المنطقة الثانية من سينما الحمراء وتنتهي عند سينما الزوراء –الشعب حاليا–.

اما الثالثة فتبدأ من سينما الزوراء وتنتهي في الباب الشرقي.

اما الاسعار فكانت ١٤ فلسا في الدرجة الأولى والتي كانت مقاعدها مغلفة بالجلد و ١٠ فلوس للدرجة الثانية والتي كانت مقاعدها خشبية غير مغلفة.

استمرت شعبة النقليات في امانة العاصمة بشراء سيارات وشاحنات الجيش البريطاني حتى العام ١٩٤٦ حيث تم توقيع اول عقد لشراء باصات من نوع "كومر" والتي ساعدت على فتح خطوط جديدة. وفي العام ١٩٤٧ بلغ عدد الباصات ١١٣ باصا مستعملا و٧ باصات جديدة، و ٢٧ باصا عاطلا، وتجمع بين السيارات التي ابدانها من خشب وكذلك الجديدة. مما دعا الى تشكيل مديرية مصلحة نقل الركاب مرة ثانية ولكنها بقيت مرتبطة بأمانة العاصمة ويرأسها امين العاصمة. وبما ان امين العاصمة لا يستطيع التفرغ لأعمال هذه المصلحة، لم تتمكن من التقدم بحيث تؤمن الحاجة المطلوبة، لذلك كثرت الشكاوى حول عجزها، ففكر المسؤولون بإعادة النظر فيها وفك ارتباطها من أمانة العاصمة.. وارتبطت بوزارة الداخلية، ثم فك ارتباطها من أمانة العاصمة، ولكنها هذه المرة ارتبطت بوزارة الداخلية على شكل مديرية عامة، اما الناس فقد بقوا يدعون الباصات "الامانة" ولم يسموها "داخلية"!!.

أواخر العام ١٩٥١ وصلت صفقة مكونة من (١٠٠) باص ذات طابق واحد واخذت تعمل في شوارع بغداد، وفي ١٩٥٣/٢/١٨ فتحت اول دورة للتدريب على السياقة، وفي العام نفسه وصلت صفقة أيضا مكونة من ١٠٠ باص اخر ذي طابق واحد.. وفي العام ١٩٥٤ أضيف باس واحد فقط كان قد عرض في المعرض التجاري البريطاني وتم شراؤه من المعرض. وبوصول الوجبة الثالثة من الباصات والمكونة من ٢٠ باصا من ذات الطابقين في العام ١٩٥٣، قررت المصلحة اعتبار باصات "كومر" المشتراة في العام ١٩٤٦ – ١٩٤٧ بحكم المنقرضة وتم سحبها من العمل.

وقد وصلت بغداد في العام ١٩٥٦، مائة باص جديد، مما دعا المصلحة الى فتح مدرسة لتعليم السياقة تخرج منها في السنة نفسها ٢٥ سائقا.

اللقط والمفقودات

كان من ضمن انظمة المصلحة المعمول بها انذاك هو نظام اللقط، وهو عند العثور على اللقط والمفقودات كانت تعلن في الصحف، وذلك خلال اسبوع من تاريخ العثور عليها في سياراتها!.

واذا لم يطلب بها احد خلال شهر واحد بعد الاعلان تباع بواسطة لجنة تضم عضوا او اكثر من اعضاء هيئة الادارة حسبما يقرره المدير العام، ويسجل ثمنها ايرادا نهائيا للمصلحة.

ايكاروس وليلاند ووزارة البلديات

بقيت المصلحة تابعة لوزارة الداخلية حتى عام ١٩٥٩ اذ تم فك ارتباطها من الداخلية، وتم تحويلها الى وزارة البلديات.

في العام ١٩٦٠ استطاع مهندسو وعمال المصلحة من انتاج باصين اطلق عليهما اسم "بغداد".

ثم استلمت المصلحة ١٠٠ باص اخر حتى العام ١٩٦٢ اذ وصل ٨٠ باصا بطابقين، ثم دخلت باصات نصر من جمهورية مصر العربية وعمل في شوارع بغداد ٦٧ باصا من هذا النوع.

وفي شهر شباط ١٩٦٩ صدر نظام مصلحة نقل الركاب في بغداد. وتم دخول الايكاروس عام ١٩٧١، وبرتش لايلند عام ١٩٧٦.

الجابي رقم 295

جواد مهدي علي مدير السير والتفتيش في المنشأة العامة لنقل الركاب حاليا. كان قد عين جابيا في العام ١٩٥٢ وكان الاسم الرسمي له انذاك بائع تذاكر، انه يتذكر تاريخ تعيينه في ١٩٥٢/٥/٢٠.

اما عن كيفية عمله فيقول انه كان طالبا في متوسطة الخدمة الوطنية "موقعها فوق سينما ريجنت في راس جسر الاحرار في الصالحية". وانه كان انذاك في الصف الثاني المتوسط ويرى سيارات المصلحة تمر من الشارع ففكر في العمل.. وكان تعيينه براتب قدره ٦ دنانير، يعطي لاهله منه ٣ دنانير وله الباقي يوفر منها دينارا واحد شهريا. وكان يحمل بائع تذاكر "جابي" رقم ٢٩٥.

وقد تزوج في العام ١٩٦٣ وكان راتبه آنذاك ١٨ دينارا وهو يتذكر "الكاري".

البلامة والطلاب

من الطرف التي تذكر عند تسيير باصات المصلحة في شوارع بغداد، وعندما سير أول باص بين الجعيفر وباب المعظم، أصبح أصحاب القوارب "البلامة" الذين كانوا يعبرون الركاب بين الكرخ والرصافة دون جدوى مما جعلهم يعتدون على السواق والجباة لكن ذلك لم يجد نفعا.

مما جعلهم يبتكرون طريقة لتأخير الباص وهي أنهم عندما يرون الناس يركبون الباص يقدمون السمك المشوي للسائق والجابي مما يسبب تأخيرهم فيضجر الناس ويتجهون إلى القوارب.

أما طلبة دار المعلمين العالية فكانوا لا يدفعون أجور النقل. فيقومون بالاستيلاء على "سدارة" الجابي ويرمونها من الأمام إلى الخلف وبالعكس وهكذا يحدث الهرج والمرج إلى أن يصلوا الدار "كلية التربية حاليا" بدون دفع أي أجور؟.

عزرائيل في المصلحة

كان السواق والجباة يخافون المفتش، لانه يعاقب بقطع الراتب لأتفه الأسباب، وكانت العقوبات تصل الى قطع مبلغ "ربع دينار"؟ من الراتب وهذا يعتبر مبلغا عاليا، واذا تاخر الباص ٥ دقائق تصل العقوبة الى نصف دينار، وقد وصلت في احد الايام الى دينار عوقب بها الجابي لعيبي حميد في العام ١٩٥١، عندما اخذ طول القماس "الفلم" الذي كانت الارقام تكتب عليه، ويدور ليظهر الرقم المثبت للخط ، لان زوجته كانت بحاجة الى دشداشة فوجد ان طول القماش قد استبدل بواحد جديد، فاخذ القديم، وخاطته زوجته دشداشة لها، وصادف ان المفتش جاء الى دار لعيبي فوجد زوجته ترتدي دشداشة ولكن عليها ارقام فعرف من ذلك انها من المصلحة وفرض العقوبة وقدرها دينارا واحدا فكانت كارثة كبرى لانها دينار.. "خوش ضيف"!

ويدهش مواطنونا الان ان مؤسسة عريقة في خدمتها لنقل الركاب كانت لها كل تلك التقاليد الجميلة وكانت تغطي بغداد بباصات قليلة. لكنها تمكنت اليوم ان تواكب التوسع الكبير بقبول الناس ولكنها مازالت تسمى "امانة".

مجلة الاسبوع 1957

* عقوبات تصل إلى ربع دينار قطع راتب شهريا
* ثوب من أرقام الخطوط تلبسه امرأة فيعاقب الجابي
* سدارة الجابي يتلاقفها الطلاب كالكرة تهرباً من دفع الأجور

أيام رياضية لها تاريخ

تاجريان بعد عدنان القيسي.. بطولات عالمية زائفة!

كيف تم سحب جوازه ومنعه من دخول العراق؟

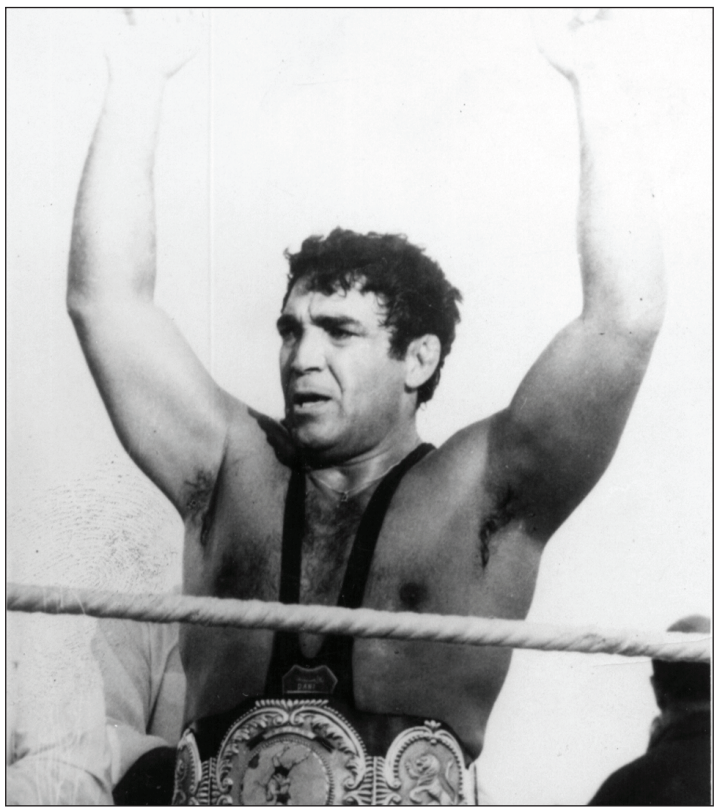

يأكل وينام على دراجة

راكب الدراجات الارمني تاجريان الذي يزعم انه بطل العالم في ركوب الدراجات للمطاولة وله أرقام قياسية في المكوث على دراجة عدة أيام دون الهبوط عنها إلى الأرض فهو يأكل وينام ويحلق وجهه وهو يمتطي دراجته أو حصانه الحديدي ساعات وساعات طويلة تمثل تحدي الزمن بالصبر الذي لا يقهر وقدم عروضا في عدة ساحات من بغداد وسط أعجاب ودهشة المشاهدين الذين قابلوا هذا البطل الجديد الذي نقل عروضه إلى عدة شوارع وملاعب أقطار عربية وأجنبية وقابل ملوكها ورؤساء تلك الدول كبطل رياضي عربي مرموق ثم انتقل الى بلاد المكسيك ممثلا العراق في دورة المكسيك الاولمبية ضمن وفد عراقي ضم عدة عراقيين قادهم تاجريان وهو يحمل علم العراق في تلك الدورة الاولمبية العالمية مما وطد مكانته في العام الرياضي كرياضي اولمبي أشاع انه فاز في إحدى بطولات الدورات الاولمبية ونال وسامها الذهبي.

تاجر.. يان!

ورحبت صحف العراق بهذا الانتصار الاولمبي الرائع الذي كان بطله (تاجر... يان!) إلا أن جريدة (الملاعب) البغدادية التي كان يتولى إدارتها وتحريرها كاتب هذه السطور تصدى لهذه الأخبار غير الموثقة رسميا ووصفها بأنها زائفة إلا أن جريدة (الملعب) ناصرت تاجريان وهللت لانتصاره الاولمبي العالمي كما هللت الملاعب لانتصارات عدنان القيسي.

لقد تبادل الزميلان ابراهيم اسماعيل (الملعب) وشاكر اسماعيل (الملاعب) المواقف، المرحوم ابراهيم اسماعيل الذي كان خصما للقيسي اصبح مؤيدا لتاجريان، وشاكر اسماعيل الذي كان مناصرا للقيسي اصبح خصما لتاجريان الذي كان يطوف ارجاء العالم كبطل عالمي استقبله العديد من ملوك العالم ورؤساء جمهورياتها، واتخذ من حسناء مكسيكية سكرتيرة خاصة له تطوف معه أرجاء العالم برفقة بطانة من المرافقية، وكان تاجريان يوزع اخبار مقابلاته المصورة على الصحف التي هرعت لاستقباله كبطل عالمي وكانت تمثله وهو يقابل رئيس جمهورية المكسيك والعديد من رؤساء دول أمريكا اللاتينية ونجومها وأبطالها ويحيا حياة باذخة.

تجارة ناجحة

وكانت الصحف ووكالات الأنباء تلاحق أخبار هذا التاجريان الذي جعل من الرياضة تجارة ناجحة..! فاقت رصيد القيسي شهرة وثراء ونجومية.

وقفت الملاعب من هذه الأخبار موقفا صلبا لتبديد مزاعم بطولات تاجريان واستطاعت فضح أساليبه ووصفته بالدجل واهابت بمسؤولي الحركة الرياضية في قطرنا وعدم الاعتراف بتلك البطولات المزيفة وسحب جواز سفره ومنعه من دخول العراق اذ ان بطولاته لم تكن سوى مزاعم كاذبة تفبركها بطانته وتنشرها إعلانات مدفوعة الأجر مقدما.

حركات بهلوانية

لقد نجحت حملة (الملاعب) التي طيرت أخبارها وكالات الانباء العالمية ورددت اخبار منعه من دخول العراق وسحب جواز سفره وعدم الاعتراف ببطولاته الزائفة التي لا تعدو عن كونها حركات بهلوانية تعتمد الغش والخداع لكونه يمكث فوق دراجته الهوائية عدة ايام مسجلا أرقاما قياسية يفتعلها بالاشتراك مع بطانته التي كانت تشيع بانها راقبت المحاولة مراقبة جادة دقيقة منافسا بذلك راكب دراجات هندي الجنسية كان يزعم انه بطل اللعبة في العالم وانه مكث فوق دراجته اكثر من مئتي ساعة متواصلة وانه اي الرياضي تاجريان حطم ذلك الرقم بعدة ساعات. وقد حدث ان نشرت وكالات الانباء العالمية خبر وفاة ذلك البطل الهندي المزعوم فأعلن تاجريان انه وريث البطولة العالمية بدون منافس.. وان الرقم القياسي لذلك البطل الهندي دفن مع صاحبه في زوايا الإهمال والنسيان في كومة بالية من نفايات الأكاذيب التي تعج بها مزابل الرياضة.

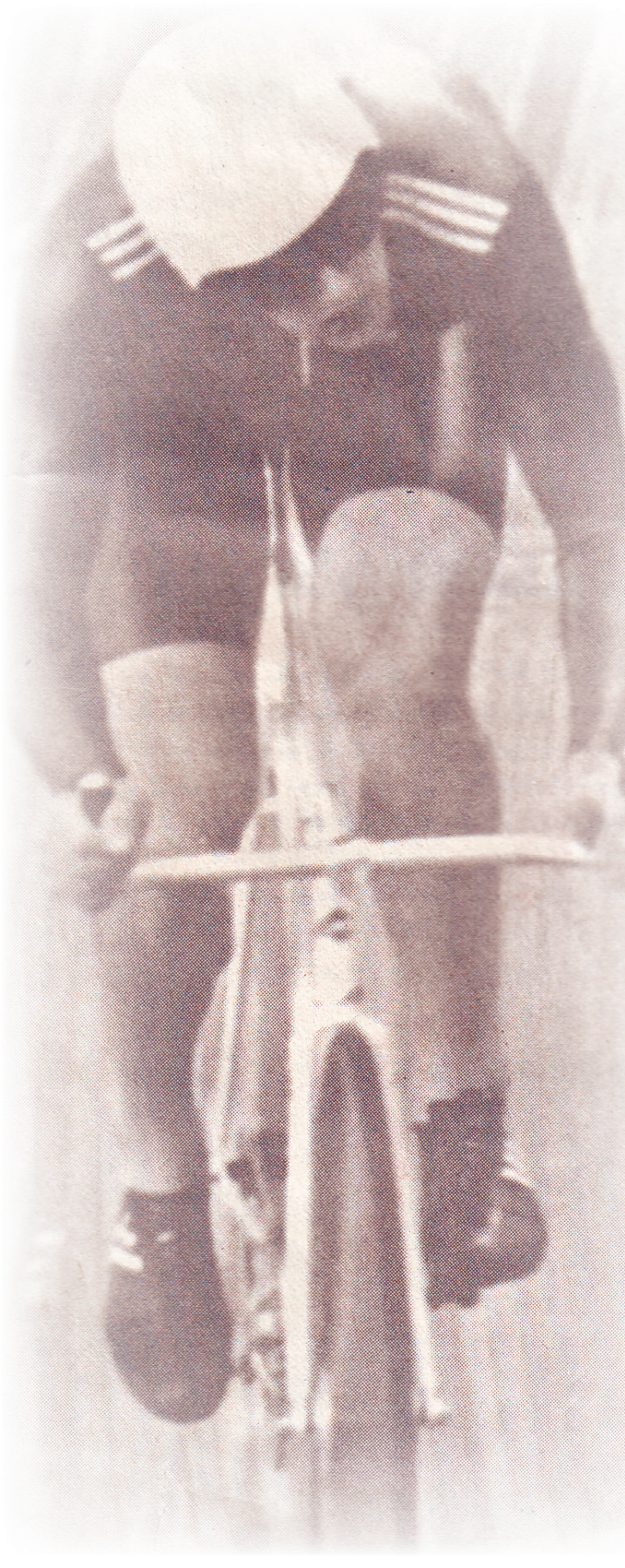

محتال عالمي

ورويدا رويدا بدا تاجريان يصحو من احلامه التي بايعته بطلا للعالم في الدراجات وبدا امره ينكشف كمحتال عالمي لم يعد يملك ذلك الاسطول الفخم من السيارات الفارهة الجميلة وطوابير الحسناوات اللواتي كن يتهافتن حوله كراشات تحترق في لهيب شهرته. ولم يعد يجد من تبحث او يبحث عن توقيعه كجامعي التواقيع من مشاهير النجوم الذين طالما تجمعوا حول تاجريان ليوقع لهم باسمه الكريم في اوتوغرافاتهم كبطل العالم في ركوب الدراجات.

الطاعن والمطعون

وقد حدث أن زار منتخب العراق لكرة القدم بلاد المكسيك عام ١٩٨٦ للاشتراك في بطولة كأس العالم وكنت ضمن ذلك الوفد الذي أثارت مشاركته في ذلك المونديال العالمي ضجة هائلة كانجاز رياضي عراقي مرموق يسجله العراق لأول مرة في تاريخه الرياضي، وشاءت المصادفة أن التقي بالتاجريان الذي كان يقف خلف أسوار الملعب وهو لا يملك أجرة دخول المباراة لمشاهدة مباراة العراق مع منتخب المكسيك.

لقد دفع الحنين تاجريان لمشاهدة منتخب بلاده فقدم احدهم بطاقة دخوله الملعب هدية لهذا المواطن العراقي الذي يعيش حياة الغربة في تلك البلاد الثانية من العالم.

صفق تاجريان طويلا وكثيرا للاعبي العراق وهتف من أعماق قلبه متمنيا الفوز للعراق، كانت دموع الحنين تترقرق في عيونه، وكانت تلك الدموع تعبر عن حنين العودة الى الوطن.انه كما قال يعيش في جهنم لان جهنم هي مأوى من لا وطن له!.

وقلت ولكنك اخترت بإرسالك بعيدا عن الوطن. قال هذا خطأي الكبير الذي لا يغتفر.. انا الطاعن وأنا الطعين وأنا الجرح والسكين. كان هذا الحديث في عام ١٩٨٦ ، ولكن يبدو ان تاجريان قد ضل الطريق وانقطعت أخباره عن بغداد. كما انقطعت أخبار زميله القيسي عن العراق، كلاهما عاشا وهم البطولة العالمية التي بنيت عادة بالرق والدم والجهد والألم والدموع لا بالضحك على الذقون.

ومن يضحك كثيرا يندم أخيراً، ولكن بعد فوات الأوان.!

اعداد/ ذاكرة عراقية

ما في الذاكرة عن المدرسة الحسينية الابتدائية في الهندية

مهدي شاكر العبيدي
اديب وكاتب عراقي

في أخريات عام ١٩٣٤ عزم المسؤولين في مديرية معارف الحلة كما كانت تسمى وقتذاك، على إنشاء مدرسة أولية ذات أربعة صفوف في قضاء الهندية المرتبط من ناحية إدارية بمدينة الحلة يومها والى وقت قريب، تختص باستقبال التلامذة المنسوبين لعائلات محلة محرم عيشة ومجاورتيها ولصيقتيها محلتي شيخ حمزة وسيد حسين، وبهذا تم بناؤها في فسحة من الأرض وإلحاق أخرى معها كساحة للعب والتجوال أثناء الفرص التي تعقب حصة التعلم والتلقين.

وكانت مواد البناء المستخدمة لا تتعدى التراب المنقوع بالماء والمخلوط بالتين لحكمة يعرفها البناؤون على سبيل ضمان صلاحيته للتماسك والشد بين ما يتوسطها من كتل اللبن اليابس او الطابوق غير المفخور بالنار الحامية ولك ان تتخيل ما كان يشكو منه التلامذة ايام الشتاء ويعنون له من عوارض جراء البرد والرطوبة مما صار الى قناعة الزائرين من رجال الادارة والمشرفين التربويين بعدم صلاحية المبنى ذاك للدراسة، جر الى توالي المكاتبات الرسمية حول ذلك على شاكلة مثيرة ومزعجة حفلت بالأخذ والرد والجر والعر والرفض والموافقة على تجديد البناء قرابة عقدين من السنين! حصل فيها تحويلها إلى مدرسة ابتدائية متكاملة وتسميتها بمدرسة الهندية الابتدائية الثانية لتغيير التسمية الاخيرة الى (المدرسة الحسينية) بناء على اقتراح القائم بأعمال الإشراف التربوي المرحوم عبد الحسين الشيخ محمد، شقيق الدكتور محمد مهدي البصير ومرافقه في تنقلاته بين مقرات الشخصيات البغدادية المتأهبة للانقضاض بوجه سلطات الاحتلال البريطاني وتفجير ثورة العشرين على ما يسجل البصير ويحفظه لشقيقه من عارفة أو دالة.

والباعث على اعتماد التسمية الأخيرة مجرد أنباء ذكر المربي نوري حسين الياسري الذي آلت إليه إدارتها منذ أخريات عام ١٩٤٣م ولغاية عام ١٩٥٦م، وتثمين جهوده وأتعابه في رفع المستوى العلمي فيها وما يلحق به من نشاط رياضي وفني يطمح إلى ترويض ابنائه على السلائق الحسنة قبل استحثاثهم على الفوز بالجوائز.

ومفارقة ان يستهل الرجل عهده بالإدارة المحلية مطالبا الجهات المسؤولة بتجديد المبنى ويتكرر الحال كل سنة تقريبا، وتنبت صلته بها بعد أن استجيب لطلبه واختيرت قطعة ارض أخرى في جهة من المحلة المذكورة ليستوي عليها المبنى، نتيجة ما شهدته خزينة الدولة من وفرة في المال رصد اغلبه لانجاز ما سمي في حينه بمشروعات مجلس الإعمار، وحسبي أن أكون احد شهود تلكم المفارقة، فطالما سمعته بوصفي تلميذا بجدوى الترميمات التي هي في الأماكن وما تسمح به ميزانية الحكومة ومن الحرب العالمية الثانية، وكون ذلك افضل من ابقاء هذا الركن او ذاك على وشك الانصداع والانهدام، وما يترتب عليهما من كارثة لا تستدبر باستفاقة غافل او تحفز منتبه! وشهدته كذلك بوصفي معلما ضمن ملاكه بعد إلمامي بمدارس قبلها دائبا على استئناف شكواه عسى ان يصغي لها راغب في الإصلاح، نازل على الضرورة.

انتظمنا في الصف الأول أثناء العام الدراسي ٣٩/٣٨، وفي عهد مديرها المرحوم احمد بلال مضرب الأمثال في سرعة الخاطر وحضور البديهة، والجرأة في رد ما لا يوافق مزاجه وخلقه حتى لو كان مصدره من يعود عليه البت في مصيره من الرؤساء، فقد افحم ذات يوم منطق احد المفتشين الذي انقل على واعية احد التلاميذ الصغار بابلاغه شفويا وعلى وجه السرعة الممكنة، بناتج جمع ٩، ٧، ٣، ٥، فانبرى هو الآخر للسؤال منه عن ناتج ٢٩، ٣٧، ١٩، فكانت فضيحة العي والحصر واجداب القريحة.

ومن بينات انسانية الرجل واضطلاعه بمسؤوليته بمنتهى الإخلاص ورعاية الثابتة الجديدة ما خص به نفسه القيام به حيال بعض التلاميذ المبتلين بامراض جلدية في رؤوسهم، فقد كان يصفهم قبالة حنفيات السقاية غاسلا تلكم الزوائد والبثور بالماء والصابون، منشفا أيها بمناديل اشتراها لهذا الغرض، ليشفع ذلك تطبيبها بالعطور والمراهم.

ولأمر ما شاء احمد بلال أن ينقل خدماته الى وزارة المالية، أو احد أقسامها ممضيا في الخدمة سنوات طويلة، وقد شهدته متقاعدا قبل بضع سنوات، اذ اثر السكن في هذه القصبة بعد تطوافه في مدن كثيرة ، وهو يخفي الأصل والنشأة، لعل اصرة من رحم او قرابة تدنيه من أسرة معروفة استدعيته لتجديد عهده بمدينة الهندسة، حتى اذا أدركته المنية بكاه تلاميذه الأول ممن صاروا إلى مسؤوليات ووظائف شتى، بعد ان تقدمت بهم سنوات العمر وأدتهم بكل ما تنطوي عليه من مشاغل ومكاره، او تعنيهم به من مطامح وامال.

وبئس ما يبغيه بعض المهيمنين على شؤون التربية والتعليم من غايات واهداف يعلقونها على انشاء المدارس والمعاهد في هذا الصقع او ذاك، لا تتعديان حشو الافهام بالمعارف المتنوعة والفرضيات المختلفة دون مجاورتها في مجل التعامل مع غيره من ابناء مجتمعه بقدر ما يقابلها من ممارسة حقوقه المرسومة وفق ما يقتضيه العدل والمنطق بلا ادنى افتئات وتحيف على الاخرين ودوس ذمارهم واهانة مشاعرهم، وكان المعلم هاشم جاسم الجسار هو الدليل على الحجة المبتغاة والغرض المرجو من كل درس يلقن به المتعلمون، وما تتبعه من نتائج واثار مصارحة اولي الامر بالخطأ وعدم التنصل منه، في غير خشية أو تردد، ليستبقي احترام التلاميذ ومحبتهم، ويظفر بتامين المسؤول الأعلى على محض الصراحة وتقديرها في موطنها.

لقد احدث أستاذي هاشم الجسار ذات يوم خدشا في جبين احد تلاميذه في لحظة غضب، اثر ما صح عنده من اهتبال ذلك التلميذ مناسبة وجود المفتش في المدرسة ليعكر جو الحصة ويعرض معلمه لموقف حرج، ورغم ما ادعاه المخدوش من اصطدامه بالجدار حين شخب الدم، كذبته بأكثر من حلقة راميا منه لأكثر من غرض لا تخفي جميعها على الاباء والمغفلين معا، فقد أبت مروءة الرجل ورجولته واستقامته الا ان يصارح رئيسه بانه السبب في الحادث وتقع عليه التبعة فيه، في غاية منه في الوقوف بوجه أندائه، وكان الطرف الآخر على جانب كبير من الرجحان والدراية وسعة الأفق، وبهذا فقد أعطت الحصة ثمرتها المرجوة من تلقين مبادئ السلوك القويم ورياضة النفس على اطراح التهيب ومعرفتها بقيمتها، في غير تشدق بما تختزنه من حقائق وتحيط به من أسرار وفحاوي، تكد عبثا في مطالبة الناس باحترامها والإذعان لها جراءها.

وعلى أن أسجل للأستاذ عبدالله رشيد الكاتب (والد عقيل الكاتب، لعله من مدرسي كلية التربية الرياضية فيما أظن) الذي يمارس اليوم مهنة المحاماة، مهنة الحرية والكرامة بعض أفضاله علي، في عشق المطالعة وتذوق الأدب ومعرفة مصادره وأصوله وموحياته إبان تلكم السنوات البكر، فقد كان يصطحبه معه الى المدرسة يوم السبت من كل اسبوع، في عام ١٩٤٤م، مجلة باسم (الطالب) في مصر، ونحن مخيرون في شرائها بعشرة فلوس للنسخة الواحدة، ويرصد واحدة من حصص مادة القراءة لقراءات حرة ومختارة لموضوعات منها، تتكفل بتبسيط القضايا التاريخية والادبية والتعريف ببعض عمالقة الفكر العربي، وكذا كنا في طور الطفولة الغريرة تعرف الجاحظ وكنه تسميته او تلقيبه، وماهية الرمزية في الكتابة في ظروف يشيع فيها الحجر على العقول قبل ان يدلل بها على الترف الثقافي والارسقراطية الفكرية والتعالي على الجمهور، ويعود ذلك إلى عرفان مؤلف رواية دون كيشوت، سرفانتس الاسباني، ولم لا أحفظ له إجماله لفحوى الإلهام والإبداع في الكتابة الأدبية، بأوفق سبل التقريب والتيسير والمعاونة.

وحين علمت بما مني به أستاذي عبد الله رشيد الكاتب من خيبة في الانسجام والتوافق مع مشارب المعلمين في محافظة ديالى يوم تدرج في سلم الوظيفة إلى الاشراف التربوي، لم استغرب منه هذا المال، ذلك ان ما ينطبع به بعض الناس من حرص وفرط الدراية بصغير الامور وكبيرها، يتمنون معها الى صيرورة الاخرين على نفس منوالهم في اداء الواجبات وتصريفها، وقد تقصر مؤهلات اولاء وقدراتهم عن مساماتهم، وتتبدى جليا للعيان عبثية الجهد المبذول لتكليف الناس ما ليس بوسعهم او فوق طاقاتهم، فكان المخرج ان احال نفسه على المعاش ليتخرط في سلك المحاماة وفاتني ان افيض حول عنائه وتخطيه المشاق وطريقته في الانفاق وتحقيقه بعض طموحاته ومنها حيازة شهادة الحقوق من طريق الدراسة المسائية إبان سني الخمسينيات بعد انتقاله الى بغداد.

وثمة واقعة معروفة هي في الصميم من تاريخ هذه المدرسة العتيدة يستدل منها على الحالة العقلية التي كان عليها الناس من جيل الثلاثينيات من هذا القرن بكل روادفها من الطيبة والسذاجة والاعتراض على الجديد والتشكيك بصوابيته، فقد تعرض احد معلمي هذه المدرسة الاستاذ عبد الحسين جواد دائي المعين في عام ١٩٢٦م والمحال على التقاعد في بداية الستينيات، نقول تعرض هذا الرجل الطريف الذي لا تفارقه النكتة وحب الفكاهة في غير تخل عن الوقار والترصن والاحتفاظ بسمته الخاصة في المواقف المحوجة لذلك، اذ تصدى له احد اصحاب الدكاكين او العلاوي حين مروره بسوق المدينة متهما اياه بعدم مخافة الله والرجوع الى ذمته وعقلانيته اثناء تلقينه تلاميذه بعض المعارف المتعلقة بمجريات الكون والناموس والطبيعة، اذن ما الذي القى في روعه ان الارض كروية الشكل حتى يحار ذلك المعترض في انتشال ولده الدارس المتعلم من الدوار الذي الم برأسه من يوم اصغائه لهذا الهراء في حجرة الدرس، وكان الرجل على قدر من اللباقة وتغيير وجهة الحديث واسكات نائرة الغيظ والحنق، بكونه يصدع بامرة وزارة المعارف التي شاءت ابلاغ هذه الفحاوى وافهام الجيل، وقد لا يكون في قرارته على تمام الموافقة والمسايرة والانطلاق في وجهاته الاعتقادية وفقها على اية حال، ضرب من حسن التخلص ونمط من مداراة الناس واخذهم على قدر عقولهم على ما نقول في امثالنا العامية.

كثيرون هم اولئك المعلمون الطيبون العاملون في هذه المدرسة اثناء الاعوام الخمسين المنصرمة على تأسيسها، ممن انتظموا في سلك التعليم عن رغبة وطواعية وحسن استعداد وقناعة انهم لا يصلحون لغير ذلك، منطلقين في تعاملهم، بعضهم مع البعض الآخر، بمحض النوايا، دون انطواء على مخبات في كل لفظ ينطق وكلام يزوق، ولي ان اتذكر بهذا الصدد ما كان يتخلل دروس الاستاذ شاكر عبد الحسين من نصائح شتى وتوجيهات مختلفة، مستطردا اليهما عبر موضوعات الواجبات الوطنية والاجتماعية، بمحض طيبته واعتقاده بمناسبتها لكافة الازمنة، واظنه اليوم يخالها مما يحسب على المرء، في حالة الاخذ بها والنزول عليها، من علائم الضعف ودلائل القصور، اثابك الله يا استاذي على حسن ظنك بالايام والناس، وامعانك في صفح واغضاء ودفع بالتي هي احسن، شان خيار الناس وامثالهم.

وبعد فقد سوغ جميع أولئك المعلمين الرواد لنفوسهم حياة التقاعد، بعامل التقدم في السن، دون أن يخسروا شيئا، فهم أخر ما كانت تلتمس عندهم الاوطار والرغائب، ويسمعهم الناس في العهود الماضية من عبارات الملق والتقرب في سبيلها ما لا تستوعبه الصحائف او ينتهي المدار من تسجيله، باستثناء ما كان يتخلل ايام الامتحانات من بعض التكليف لا يجانب اصحابه فيه حد التنويه والايماء الى المصارحة الذليلة.

وللمدرسة الحسينية ان تحتفل بيوبيلها الخمسيني على اية شاكلة تشاء، ولها ان تنسى او تتذكر، وتقي أو تجحد، صنائع اولئك الرواد وأفضالهم المحمودة، فان اخذت بالاولى فليس لنا ان نلوم.

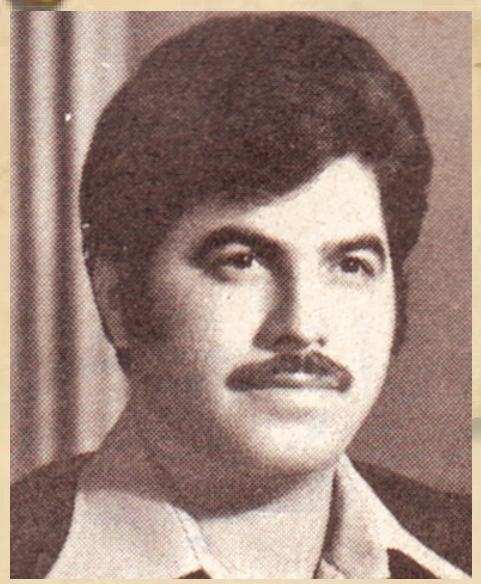

من اوراق الراحل سمير بغدادي

حوار بين الحافظ مهدي والشيخ الحنفي حول تنغيم التلاوة القرآنية!!

اوشك عدد ليس بالقليل من المقامات والنغمات العراقية الجذابة التي تعتبر من مكوناتها واساسياتها، على الاندثار، ان لم تكن قد اندثرت وعفا عليها الزمان! فلم نعد نسمعها إلا في التلاوات القرآنية، والتسجيلات الغنائية القديمة، ربما لكونها صعبة الاداء، وربما لان المقرئين والمنشدين والمجودين يستهلون النغمات البسيطة، فكانت محاولة رائدة تولاها اثنان من المغنين والمهتمين باحياء تراثنا الآخذ بالاقول هما الشيخ جلال الحنفي، والاديب الصحفي الاستاذ فاضل مهدي، بشرت بنجاح ملموس، واعطت اكلا طيبا، يرجى له وفرة العطاء. وتهدف المحاولة الى توسيع دائرة التنغيم في التلاوة القرآنية الكريمة، بالطريقة البغدادية – او العراقية – المشهورة في كافة اقطار العالمين العربي والاسلامي، وعدم الاقتصار على نغمات بسيطة محددة، فكانت بواكير المحاولة كان اللقاء الذي سجل على شريط، على مدى يومين، في دار المرحوم الحافظ مهدي في القرغول بتاريخ (٢٨ نيسان ١٩٥٩) حضره صاحبا الفكرة، وفي المرة الثانية حضر اللقاء المرحوم عبد السلام رستم مختار محلة العزة، وقد تلطف الاخ التراثي امير عبد الله – من روادنا المتقدمين في جمع التراثيات النغمية وتسجيلها على اشرطة – فاهدى مشكورا قراء صفحة (تراث المعاصرة) نسخة من هذا الشريط، الذي حولناه الى حوار ، والباب مفتوح امام تسجيلات مماثلة، احياء لتراثنا الاسلامي الخالد.

يبد الشيخ الحنفي، الحوار، فيسأل:

الحنفي – ابو صلاح.. نغمة النوى يلحقها القرار، وتعتبر نغمة خاصة مستقلة كما اتصور، والقراء عادة يغنون النوى في القرآن الكريم، لكنهم ميشتغلون بالجوابات ؟ هل هذا غير ممكن فنيا؟

مهد: الجوابات في النوى عندما يقرأ كمقام، واجبة، اما بالنسبة للمقرئ فهي صعبة، لانها تكلفه جهدا مضاعفا احتامل للكثير به! ولذلك يكتفون من هذه النغمة بالقرارات والنغمات الواطئة، لانها ممكنة ومريحة، والقرار لازم في هذا المقام، لان بدونه ما يسمى نوى.

الحنفي: كيف؟ هل تسمع شيئا؟

مهدي: تتوكل على الله ، وتشوف!

ثم يتلو من آي الذكر الحكيم، من سورة الحجر بعد التعوذ والبسملة من الآية (ان المتقين في جنات وعيون) الى الآية (قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم) مصورا نغمة النوى تصويرا جميلا ودقيقا، واثناء التلاوة كانت تتردد اصوات الاستحسان مثل: الله الله .. او تمد كلمة (الله) طويلا تعبيرا عن مشاعر الاعجاب. ويؤدي الحافظ مهدي جواب النوى الصعب الوارد في المقام ليؤكد قوله بانه غير ممكن في التلاوة القرآنية، فيقتنع الحاضرون برأيه ويسلمون.

الحنفي: ملا .. هل انغام الجميلة، كيف دخلت في التلاوة القرآنية الكريمة؟

مهدي: والله.. هل عراقيات الجذابة، مثل نوى، طاهر.. هذى ماخذيها من المرحوم (ملا احمد المهظماي) هذا الرجل كان مشهورا بضبط الانغام واستعمالاتها في التلاوات، استعمال جدا جميل.

الحنفي: شوكت توفه الله يرحمه ابو صلاح؟

مهدي: توفه بالتسعة وعشرين تقريبا.

الحنفي: طيب.. الملا عثمان الموصلي، شلون كان يقرء المقامات؟

مهدي: هذا مازج بين الانغام الشرقية.. العربية والتركية والفارسية، وبين النغمات المصرية والعراقية، ومكون له اسلوب خاص بيه، واشتهر بين الناس يهل الاسلوب وكان يغني اجزاء من المقامات.. اني شخصيا ما سامعة يغني مقام كامل.

الحنفي: تسجيلات للملا عثمان غير موجودة، هل يستطيع ابو صلاح ان يقلدنه صوته؟

مهدي: انا؟ لا استطيع.. لكن اكو واحد هو السيد مجيد (من اهالي الفضل) هذا يكدر يقلد صوت الملا عثمان، لانه يمتلك ٠بحة) بصوته تشابه (البحة) مال ملا عثمان.

الحنفي: هذا وين راح تشوفه؟ ومنو يجيبنياه؟

صوت: يلتكى .. وين يروح؟

مهدي: الموسيقار كامل الخلعي ذكر بكتابه ان الملا عثمان مختص بالرست، وحين قدم الى مصر استفدنا من خبرته في التواشيح والانغام.

الحنفي: هل غنى المرحوم ملا عثمان مقام الحليلاوي، مثلا؟

مهدي: مثل ما ذكرته.. الرجم ملم المام تام بالمقامات وبالانغام، وله الحان عديدة، لكن ما سمعنه بانه يقرأ المقام الواحد بصورة كاملة.

الحنفي: مقام الماهوري.. ملا .. هذا منين ماخذيه؟

مهدي: من الاتراكن وهو من المقامات المفضلة عندهم ويقرأونه في الاعياد وفي المناسبات الدينية، ويسمونه (بيغمبر مقامي) اي، المقام النبوي!.

ثم يغني الحافظ مهدي مقام الماهوري ببعض ابيات من قصيدة ابن الفارض:

ما بين ضال المنحنى وظلاله
ضل المتيم واهتدى بضلاله
وبذلك الشعب اليماني منية
للصب قد بعدت على آماله
يا صاحبي هذا العقيق فقف به
متوالها ان كنت لست بواله
وانظره عني ان طرفي عاقني
ارسال دمعي فيه عن ارساله
اترى درى اني احن لهجره
اذ كنت مشتاقا له كوصاله
وابيت سهرانا امثل طيفه
للطرف كي ابقي خيال خياله

وبعد استراحة قصيرة، اتبع هذه الابيات الصوفية، بابيات من قصيدة الشاعر العراقي جعفر الحلي، التي مطلعها:

يا قامة الرشا المهفهف ميلي
بضماي منك لموضع التقبيل

غنى الابيات التالية بمقام العريبون عجم، وصور قبل التسليم بالابراهيمي نغمة (سعيد مبركع) وهي من النغمات العذبة التي تكان تنقرض:

اتلو صحائف وجنتيك وانت
في سكر الصبا لم تدر بالانجيل
ورأيت سحر تغزلي بك فاتنا
فجملته في طرفك المكحول
اشكو الى عينيك من سقم بها
شكوى عليل في الهوى لعليل

وبعد توقف قليل يتلو الحافظ مهدي – بنغمة الحليلاوي – الجذابة من سورة الانبياء من الآية (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى، اولئك عنها مبعدون) الى الآية (قال ربي احكم بالحق، وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون).

وتمضي لحظات سكون ينطلق بعدها صوت المقرئ الشجي، الحافظ مهدي، مقام ابراهيمي، بالزهيري التالي، وقد نظمه خصيصا له احد اصدقائه:

يا ليل لا تنكضي ياليل سلينه
سلواك على البدر فديوم سلينة
عالوصف كلبي هوه ما تسمعو وناي
والروح غنت لكم قيثارة وناي
والدمع غطه العوالي ما اله وناي
يمته الوصل منكم يحباب سلينه

××××

ذكر لنا الشيخ الحنفي بعد سماعه الشريط ما يلي:

– لقد كانت خطتنا ان ندخل النغمات العراقية الشجية في التلاوة القرآنية، ولا يعنينا ان كانت صعبة الاداء وتكلف المقرئ او لا تكلفهن لاننا مثلا كنا نجد المرحوم الحاج محمود عبد الوهاب يتفنن في استخدام نغمة الارواح في التلاوة القرآنية ونجد اليوم الحافظ خليل من اجود المقرئين استعمالا للنغمات العراقية، هذا عدا ما نحس به من اشراقة في صوته، ولا احجب تقديري عن بقية المقرئين.

اما الاستاذ فاضل مهدي كشف لنا الكثير وذلل العديد مما اشكل علينا اثناء سماعنا الشريط، فله ثواب معونته، والى لقاء قريب.

توفى الحافظ مهدي الى رحمة الله بتاريخ ٢٨ نيسان ١٩٥٩ اي بعد سبعة اعوام من هذا اللقاء بالايام والشهور والسنين؟!.

لقاء نادر مع الفنان ناظم الغزالي

في ركن من أركان شارع الرشيد وأمام تمثال الرصافي لافتة تقول "محل أنغام التراث" انه مكان جيد للاستماع، وجه بشوش استقبلنا تنبع منه الكلمات الطيبة، بادرنا قائلا:

× تفضل ماذا تطلب؟

× حببت أن أسألك عن قضية قديمة هل لديك مانع؟

– هل تطلب أغاني المقامات القديمة أم تريد سماعها فقط؟

× عرفنا ان لديك حوارا مع ناظم من تلفزيون الكويت.. وقبل هذا ما سر اهتمامك بالمقام العراقي؟

– انا من المهتمين بالمقام العراقي والأغاني القديمة التراثية وقد أحببت مطربي المقامات واستمعت اليهم من خلال الاسطوانات الاذاعية والاشرطة لهذا تجدني حريصا على جمع هذه الأغاني وكذلك قمت بتسجيل المناقب النبوية على الأشرطة وصاحبت المطربين في جميع حفلاتهم.

اما بخصوص المطرب المرحوم ناظم الغزالي فقد زودت إذاعتي صوت الجماهير والقوات المسلحة بالأغاني والقصائد الوطنية التي غناها ناظم إضافة لمن يراجعني من معدي البرامج التراثية ومحيي الأغاني القديمة.

× هل من الممكن ان تعطينا بعض الجوانب التي تخص ناظم الغزالي؟..

– عندما تم افتتاح سدة الورار عام ١٩٥٤ أقيمت حفلة احياها الفنان يوسف عمر والغزالي وزهور حسين وهذه الحفلة لم تذع حتى الآن وهي موجودة عندي..

× ما هي القصائد الوطنية التي غناها في تلك الفترة؟

هنا اخرج أشرطة سجلت عليها تلك الأغاني وبصوته.

وقال: ان هذه القصائد غير مذاعة للمستمعين وقد تكون منسية.

× واقتطفنا بعضا من هذه القصائد:

من زاحم الليث على غابة ظلما
سيلقى الحتف في نابه
والليث لا تؤمن غاراته
ان عافت الأعداء في غابه
يا ماتنا ثارت إلى حقها
واستمسكت منه باسبابه
لا تيأسي ان الذي قد مشى
للحق لا يرجع الى به

القصيدة الثانية
على الرمال طيوف من كتائبنا
نشوى الفتوح و نفح من سرايانا
لابن الوليد على كتائبها عبق
سقى الهجير من الذكرى فلبانا
وفي النسيم على الصحراء ترشق
طيب المثنى على رايات شيبانا

اللقاء التلفزيوني

× من الممكن أن نسجل اللقاء التلفزيوني مع ناظم والذي اجري معه عام ١٩٦٣ في الكويت؟

فاخرج سمير شريط الفيديو وشاهدت اللقاء القصير وسجلته حرفيا!!

× البداية مقطع من أغنية على جسر المسيب..

× الكل يعرف الاستاذ ناظم الغزالي فاهلا ومرحبا به.

– اهلا ومرحبا.

× متى وصلتم الكويت؟

– وصلنا الخميس.

× ستغني في عيد استقلال الكويت؟

– طبعا.

× ممكن نسمع شيئا من الغناء؟

– والله اعتقد لو تبقى مفاجأة أحسن.

× اذا ممكن تغني لنا أغنية ثانية؟

– اولا اسمحي لي ان اقدم زملائي الذين وصلوا معي وهم الاستاذ ناظم نعيم مراقب الموسيقى في القسم الكردي في اذاعة بغداد والاستاذ خضر الياس عازف الناي والأستاذ سالم حسين مدرس القانون في معهد الفنون الجميلة وسيصل غدا ضابط الإيقاع الأستاذ حسين عبدالله .

× أهلا ومرحبا.

× ممكن ان نسمع اغنية "خايف عليها".؟

– نعم – تفضل استاذ خضر.

× طبعا انت سمعت الاغنية الكويتية؟

– طبيعي .

× هل تعجبك؟

– والله تعجبني بلا مجاملة ويعجبني من المطربين كثيرين منهم تسميهم شيوخ الغناء واساتذة الثناء وكذلك ايضا الشباب الناهض وعلى العموم الاغنية الكويتية قفزت قفزات سريعة نحو الأمام ويعجبني بالاخص الغناء السامري تقريبا وهو يشبه الاغنية العراقية.

× اذا تسمع اغنية كويتية فاي اغنية تسمعها.

– انا اختار الاغنية التي اتحسس بها والتي تتجاوب مع مشاعري اما لونها او لمن فهذا يعود للاغنية.

× ما "كتلي" الاغنية شنهية؟

– كل الاغاني السامرية.

× الفرق بين الاغنية الكويتية والاغنية العراقية؟

– الفرق بين الاغنية العراقية والاغنية الكويتية اعتقد معدوم لكون الاغنية الكويتية خارجة من الصميم والعراقية كذلك في الصميم والتراث.

× وهنا انتهى اللقاء مع المطرب ناظم الغزالي، قلت للاستاذ سمير:

× هل توجد لديك بعض الاسطوانات لمطربين ومطربات عراقيين لم تذع من الاذاعة حتى الآن؟؟

– كثيرا هي الاسطوانات واذكر منها الجولة الغنائية للمطربة ناديا شمعون وبعض الاسطوانات للاستاذ القبانجي ويوسف عمر وجميلة جورج شقيقة زكية جورج وزهرة خليل وصديقة الملاية ومن غير العراقيين ايضا توجد لدي بعض الأشرطة "لسلامة حجازي وزكية حمدان ونادرة" احمد "الفقش" وتلاوات القرآن الكريم بأصوات نسائية "للكريمة العادلية والشيخة نودد".

مجلة الاذاعة والتلفزيون عام 1972

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي ـ رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون